سلسلة أصول الإسلام (١)

أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله ﷺ

العروة الوثقى

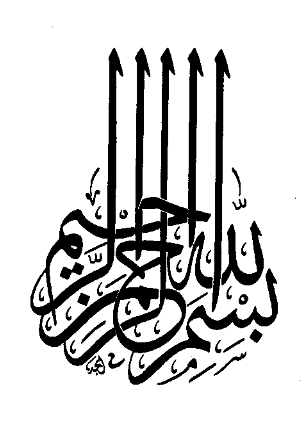
في ضوء الكتاب والسنة

المفهوم، والفضائل، والمعنى، والمقتضى، والأركان، والشروط، والنواقص، والنواقض

﴿فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾

تأليف الفقير إلى الله تعالى

سعيد بن علي بن وهف القحطاني


بسم الله الرحمن الرحيم

العروة الوثقى

في ضوء الكتاب والسنة

المفهوم، والفضائل، والمعنى، والمقتضى، والأركان، والشروط، والنواقص، والنواقض

ح سعيد بن علي بن وهف القحطاني، ١٤١٦هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية

القحطاني ، سعيد بن علي بن وهف.

العروة الوثقى في ضوء الكتاب والسنة .

٢٢٤ ص ؛ ١٢ × ١٧ سم

ردمك : ٥ – ٨٨٧ – ٢٧ – ٩٩٦٠

١– الدعـوة الإسـلامية أ – العنـــوان

ديوي ٢١٨ ١٦/ ٠٠٧٠

رقم الإيداع: ١٦/٠٠٧٠

ردمك: ٥ – ٨٨٧ – ٢٧ – ٩٩٦٠

حقوق الطبع محفوظة

إلا لمن أراد توزيعه مجاناً ، بدون حذف ،
أو إضافة ، أو تجزئة ، أو اختصار ،
فله ذلك وجزاه الله خيراً .

الطبعة الأولى

محرم ١٤١٦هـ - ١٩٩٤م

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إلـٰه إلاّ الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وسلم تسليماً كثيراً. أما بعد:

فهذه رسالة مختصرة في كلمة التوحيد: العروة الوثقى، والكلمة الطيبة، وكلمة التقوى، وشهادة الحق، ودعوة الحق، «**أشهد أن لا إلـٰه إلاّ الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله**» ﷺ جمعتها لنفسي ولمن شاء الله تعالى من عباده، وأسأل الله الذي لا إلـٰه إلاّ هو الواحد الأحد الصمد الذي لم يلد ولم

يولد ولم يكن له كفواً أحد أن يجعلني وإياكم وإياهم وجميع المسلمين من أهلها الصادقين المخلصين، الموقنين العاملين بما دلت عليه، وبما تقتضيه، إنه على كل شيء قدير وبالإجابة جدير.

وقد قسمت البحث إلى أربعة فصول وتحت كل فصل مباحث كالتالي:

○ **الفصل الأول : تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله.**

* **المبحث الأول** : مكانة ومنزلة لا إلـه إلاّ الله وأن محمداً رسول الله.
* **المبحث الثاني** : معنى لا إلـه إلاّ الله.
* **المبحث الثالث** : أركان لا إلـه إلاّ الله.
* **المبحث الرابع** : فضل لا إلـه إلاّ الله.
* **المبحث الخامس:** لا إلـه إلاّ الله تتضمن أنواع التوحيد.
* **المبحث السادس:** لا إلـه إلاّالله دعوة جميع الرسل عليهم الصلاة والسلام
* **المبحث السابع** : شروط لا إلـه إلاّ الله.

○ **الفصل الثاني : تحقيق شهادة أن محمداً رسول الله ﷺ**

* **المبحث الأول** : معناها ومقتضاها.

* المبحث الثاني : وجوب معرفة النبي ﷺ.
* المبحث الثالث : الحجج والبراهين على صدقه ﷺ.
* المبحث الرابع : حقوقه على أمته ﷺ.
* المبحث الخامس : عموم رسالته ﷺ.
* المبحث السادس: تحريم الغلو والإطراء فيه ﷺ.

○ **الفصل الثالث : نواقض ونواقص الشهادتين.**

* المبحث الأول : أقسام المخالفات.
* المبحث الثاني : أخطر النواقض وأكثرها وقوعاً.
* المبحث الثالث : تفصيل بعض النواقض وأنواع النفاق والبدع.
* المبحث الرابع : أصول النواقض.

○ **الفصل الرابع : دعوة المشركين إلى كلمة التوحيد.**

* المبحث الأول : البراهين العقلية لإثبات ألوهية الله تعالى.
* المبحث الثاني : ضعف جميع المعبودات من دون الله تعالى.
* المبحث الثالث : ضرب الأمثال.
* المبحث الرابع : الكمال المطلق لله وحده.
* المبحث الخامس : بيان الشفاعة المثبتة والمنفية.
* المبحث السادس: الإله الحق سخر ما في الكون لعباده.

وقد سلكت في هذا البحث منهج أهل السنة والجماعة، وأسأل الله أن يجعله مباركاً خالصاً

لوجهه الكريم، مقرباً لمؤلفه، وقارئه، وطابعه، وناشره من جنات النعيم، وأن ينفعني به في حياتي وبعد مماتي، وأن ينفع به كل من انتهى إليه، إنه خير مسئول، وأكرم مأمول، وهو حسبنا ونعم الوكيل، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

سعيد بن علي بن وهف القحطاني

حرر في يوم السبت الموافق ١٧/ ١٠/ ١٤١٥هـ

الفصل الأول: تحقيق شهادة أن لا إلـه إلاّ الله

المبحث الأول: مكانة ومنزلة لا إلـه إلاّ الله

لا إلـه إلاّ الله: كلمةٌ قامت بها الأرضُ والسموات، وخُلقت لأجلها جميع المخلوقات، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[1]، [ومن أجلها خلقت الدنيا والآخرة]، وبها أرسل اللهُ رسلَهُ، وأنزل كتبه، وشرع شرائعه؛ قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾[2]؛ ولأجلها نصبت الموازين، ووضعت الدواوين، وقام سوق الجنة والنار، وبها انقسمت الخليقة إلى المؤمنين والكفار، والأبرار والفجار، [وفي شأنها

---

(١) سورة الذاريات، الآية: ٥٦.

(٢) سورة الأنبياء، الآية: ٢٥.

تكون الشقاوة والسعادة، فهي منشأُ الخلق والأمر، والثواب والعقاب [وبها تؤخذ الكتب باليمين أو الشمال، ويثقل الميزان أو يخف، وبها النجاة من النار بعد الورود، وبعدم التزامها البقاء في النار] وهي الحقُّ الذي خلقت له الخليقة، [وبها أخذ الله الميثاق] وعنها وعن حقوقها السؤال والحساب [يوم التلاق]، وعليها يقع الثواب والعقاب، وعليها نُصِبتِ القِبلةُ، وعليها أُسِّسَتِ الملة؛ وهي حقُّ الله على جميع العباد، قال ﷺ: «. . . **حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً**»[1]، [وهي أعظم نعمة أنعم الله بها على عباده المؤمنين إذ هداهم إليها]، فهي كلمة الإسلام، ومفتاح دار السلام، وبها يعصم الدم والمال، ومن أجلها

(١) البخاري مع الفتح ١٣/ ٣٤٧، ومسلم ١/ ٥٨ برقم ٣٠.

جُرِّدت سيوف الجهاد، قال ﷺ: «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إلـه إلاّ الله، وأن محمداً رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءَهم وأموالهم، إلا بحق الإِسلام وحسابهم على الله**»[1]، وهي أول ما يجب أن يُدعى إليه. قال ﷺ لمعاذ حينما بعثه إلى اليمن: «**إنّك تَقْدَمُ على قومٍ أهلِ كتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله**» وفي رواية: «**فادعهم إلى شهادة أن لا إلـه إلاّ الله وأني رسول الله..**»[2].

[وهي أصل الدين وأساسه، ورأس أمره وساق شجرته، وعمود فسطاطه، قال ﷺ: «**بُني الإِسلام على خمس: شهادة أن لا إلـه إلاّ الله وأن محمداً رسول**

---

(١) البخاري مع الفتح ١/ ٧٥، ومسلم ١/ ٥٣ برقم ٢٢ من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٢) البخاري مع الفتح ٣/ ٣٢٢، ومسلم ١/ ٥٠ برقم ١٩.

الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت»[1]، وهي العروة الوثقى، وهي كلمة الحق، وكلمة التقوى، وهي القول الثابت، والكلمة الطيبة، وأعظم الحسنات]، وشهادة الحق، وكلمة الإخلاص، ودعوة الحق، وأفضل الذكر، وأفضل ما قاله النبيون، وهي أفضل الأعمال، وتعدل عتق الرقاب، وتفتح لقائلها أبواب الجنة الثمانية، وهي الكلمة العظيمة التي عنها يُسأل الأولون والآخرون فلا تزول قدما العبد بين يدي الله حتى يسأل عن مسألتين: **ماذا كنتم تعبدون؟ وماذا أجبتم المرسلين؟** فجواب الأولى: بتحقيق «**لا إلـه إلاّ الله**» معرفةً وإقراراً وعملاً، وجواب الثانية: بتحقيق «**أن محمداً**

(١) البخاري مع الفتح ١/ ٤٩، ومسلم ١/ ٤٥ حديث رقم ١٦.

رسول الله» معرفةً، وإقراراً، وانقياداً، وطاعة[1]؛ لأنه عبدالله ورسوله، وأمينه على وحيه، وخيرته من خلقه، وسفيره بينه وبين عباده، المبعوث بالدين القويم، والمنهج المستقيم، أرسله الله رحمة للعالمين ، وإماماً للمتقين، وحجة على الخلائق أجمعين، فهدى الله به إلى أقوم الطرق وأوضح السبل، [وفتح به أعيناً عُمياً، وقلوباً غلفاً، وآذاناً صماً، وافترض على العباد طاعته، ونصرته وإعانته، وتوقيره ومحبته، والقيام بحقوقه، وسدَّ الله دون جنته الطرق فلن تفتح لأحد إلا من طريقه، فشرح له صدره، ورفع له ذكره، ووضع عنه وزره، وجعل الذِّلةَ والصَّغار على من خالف أمره، وبحسب

---

(١) انظر : زاد المعاد ١/ ٣٤، ومعارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول في التوحيد للشيخ حافظ بن أحمد الحكمي ٢/ ٤١٠-٤١٣، وكلمة الإخلاص وتحقيق معناها للحافظ ابن رجب الحنبلي ص ٤٩-٥١ .

متابعته ﷺ تكون الهداية والفلاح والنجاة، فالله سبحانه علق سعادة الدارين بمتابعته، وجعل شقاوة الدارين في مخالفته، فِلأَتباعه: الهدى والأمن، والفلاح والعزة، والكفاية والنصرة، والولاية والتأييد، وطيب العيش في الدنيا والآخرة، ولمخالفيه: الذِّلةُ والصَّغار، والخوف والضلال، والخذلان والشقاء في الدنيا والآخرة[١].



(١) زاد المعاد لابن القيم ١/ ٣٤-٣٦ بتصرف.
وانظر: الشفاء في حقوق المصطفى ﷺ ١/ ٣.

المبحث الثاني: معنى لا إلـه إلاّ الله

معنى «لا إلـه إلاّ الله» : **لا معبود بحق إلا الله**[1]

فالحق أن معنى كلمة التوحيد: لا معبود بحق إلاّ إلـه واحد، وهو الله وحده لا شريك له، قال الله تعالى: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾[2]، كما قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴾[3]، ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾[4]، ﴿ وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن

---

(١) انظر: تيسير العزيز الحميد ص ٧٣، وفتح المجيد ص ٤٧، ومعارج القبول ٢/ ٤١٦، وتحفة الإخوان لابن باز ص ٢٣، والأصول الثلاثة وحاشيتها لابن القاسم ص ٥٠، والأصول الثلاثة وحاشيتها لابن عثيمين. انظر فتاوى ابن عثيمين ٦/ ٦٦.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٨.

(٣) سورة الأنبياء، الآية: ٢٥.

(٤) سورة النحل، الآية: ٣٦.

رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ﴾[1] ، ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ﴾[2] ، ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾[3] ، ﴿أَمِ ٱتَّخَذُوٓا۟ ءَالِهَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ ۞ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾[4] ، ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾[5] ، ﴿قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ

---

(١) سورة الزخرف، الآية: ٤٥ .

(٢) سورة الحج، الآية: ٦٢ .

(٣) سورة المؤمنون، الآية: ٩١ .

(٤) سورة الأنبياء، الآيتان: ٢١، ٢٢ .

(٥) سورة البقرة، الآية: ١٦٣ .

سَبِيلًا ۝ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴾[1] ، ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا۟ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[2] ، ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾[3] ، ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ

---

(١) سورة الإسراء، الآيتان: ٤٢، ٤٣ .

(٢) سورة المائدة، الآية: ٧٣ .

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٦٤ .

ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴾[1] ، ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِّنْهُ ۚ بَلْ إِن يَعِدُ ٱلظَّٰلِمُونَ بَعْضُهُم بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا ﴾[2] ، ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ ۖ ٱئْتُونِى بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾[3] ، ﴿ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ ۗ أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ ﴾[4] ، ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٌ ۖ وَمَا

---

(١) سورة الزمر، الآية : ٣٨ .

(٢) سورة فاطر، الآية : ٤٠ .

(٣) سورة الأحقاف، الآية : ٤ .

(٤) سورة الرعد، الآية : ١٦ .

مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ * رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ ﴾[1]، ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾[2].

وهذه الآيات السابقة وغيرها من الآيات الكثيرة في كتاب الله تعالى تبين أن الله هو المعبود بحق وحده لا شريك له ولا رب سواه، فاتضح أن معنى «الإلـٰه»[3] هو المعبود؛ ولهذا قال قوم هود ﴿ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا ﴾[4]، ولما قال النبي ﷺ لكفار قريش: «**يا أيها الناس قولوا لا إلـٰه إلاّ الله تفلحوا**»[5]، قالوا: ﴿ أَجَعَلَ ٱلْـَٔالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا إِنَّ هَٰذَا

---

(١) سورة ص، الآيتان: ٦٥، ٦٦.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٦٢.

(٣) انظر: تيسير العزيز الحميد ص ٧٣.

(٤) سورة الأعراف، الآية: ٧٠.

(٥) أخرجه أحمد ٤/ ٣٤١، ٣/ ٤٩٢ وله شاهد عند ابن حبان برقم ١٦٨٣ =

﴿لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾[1]؛ لأنهم قد اعتادوا عبادة الأصنام، والأوثان، والأولياء، والأشجار، والقبور، والذبح لهم، والنذر لهم وطلب قضاء الحاجات وتفريج الكروب فاستنكروا هذه الكلمة؛ لأنها تبطل آلهتهم ومعبوداتهم من دون الله تعالى[2].

﴿إِنَّهُمْ كَانُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ۝ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓا۟ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ﴾[3].

فتضمنت كلمة لا إلـه إلاّ الله أن ما سوى الله تعالى ليس بإلـه وأن إلـهية ما سواه من أبطل الباطل، وإثباتها أظلم الظلم، فلا يستحق العبادة

= (موارد)، والحاكم في المستدرك بإسنادين قال عن الأول: صحيح على شرط الشيخين رواته كلهم ثقات، اثبات ١/ ١٥.

(١) سورة ص، الآية: ٥.

(٢) انظر: مجموع فتاوى ابن باز ٤/ ٥.

(٣) سورة الصافات، الآيتان: ٣٥-٣٦.

سواه، كما لا تصلح الإلـٰهية لغيره، فتضمنت هذه الكلمة نفي الإلـٰهية عما سواه، وإثباتها له وحده لا شريك له، وذلك يستلزم الأمر باتخاذه إلـٰهاً واحداً والنهي عن اتخاذ غيره معه إلـٰهاً. . وقد دخل في الإلـٰهية جميع أنواع العبادة الصادرة عن تألّه القلب لله: بالحب والخضوع، والانقياد له وحده لا شريك له[1]؛ لأنه الإلـٰه الحق الذي تألهه القلوب: محبةً وإجلالاً، وإنابةً، وإكراماً، وتعظيماً، وذلاً، وخضوعاً، وخوفاً، ورجاءً، وتوكلاً[2]. فيجب إفراد الله تعالى بجميع أنواع العبادة: كالدعاء، والخوف، والمحبة، والتوكل، والإنابة، والتوبة، والذبح، والنذر، والسجود،

---

(١) انظر: تيسير العزيز الحميد ص ٧٣.

(٢) انظر: فتح المجيد ص ٤٦.

والطـواف، والرغبـة، والرهبـة، والخشـوع، والاستعانة، والاستغاثة، والاستعاذة، وجميع أنواع العبادة، وهي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال، والأعمال الظاهرة والباطنة[1].

فيجب صرف ذلك كله لله وحده لا شريك له، فمن صرف شيئاً مما لا يصلح إلاّ لله من العبادات لغير الله تعالى فهو مشرك ولو نطق بـ «**لا إلـٰه إلا الله**» إذا لم يعمل بما تقتضيه من التوحيد والإِخلاص[2].



---

(١) انظر: الأصول الثلاثة لمحمد بن عبدالوهاب وحاشيتها لابن القاسم ص٣٤.

(٢) انظر: تيسير العزيز الحميد ص ٧٤.

المبحث الثالث: أركان لا إلـه إلاّ الله

الركن الأول: النفي: وهو نفي الإلـهية عن كل ما سوى الله تعالى من جميع المخلوقات كائناً من كان.

الركن الثاني: الإثبات: وهو إثبات الإلـهية لله وحده دون كل ما سواه فهو الإلـه الحق وما سواه من الآلهة باطل[1]، ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِ ٱلۡبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ﴾[2].

وقد أعرب العلماء كلمة التوحيد «**لا إلـه إلاّ الله**» فقالوا: «لا» نافية للجنس، و «إلـه» اسمها مبني معها على الفتح، وخبرها محذوف تقديره،

(١) انظر: فتح المجيد ص ٤٧، وتيسير العزيز الحميد ص ٧٧، ومعنى لا إلـه إلا الله للعلامة صالح بن فوزان ص ١٦.
(٢) سورة لقمان، الآية: ٣٠.

«حق» أي: لا إلـه حق. إلاّ الله: استثناء من الخبر المرفوع[1] فـ«لا إلـه إلا الله» نافياً لجميع ما يعبد من دون الله، فلا يستحق أن يعبد. «إلاّ الله» مثبتاً العبادة لله وحده فهو الإلـه المستحق للعبادة، فتقدير خبر «لا» بحق هو الذي جاءت به النصوص من الكتاب والسنة.

أما تقديره بـ«موجود» أو «معبود» فقط فهو غلط خلاف الصواب، لكن لو نعت اسم «لا» بحق فلا بأس: ويكون التقدير «لا إلـه حقاً موجود إلاّ الله»[2]؛ لأنه يوجد معبودات كثيرة من الأصنام والأضرحة، والقبور وغيرها، ولكن المعبود بحق هو الله وحده وما سواه فمعبود بالباطل

---

(١) انظر: معنى لا إلـه إلا الله للعلامة صالح الفوزان ص ١٦، وحاشية ثلاث الأصول للعلامة ابن عثيمين ضمن فتاواه ٦/ ٦٦

(٢) انظر: معارج القبول ٢/ ٤١٦.

وعبادته باطلة وهذا مقتضىٰ ركني لا إلـٰه إلا الله[1] .

المبحث الرابع: فضل لا إلـٰه إلاّ الله

كلمة التوحيد لها فضائل عظيمة لا يمكن حصرها ، من قالها صادقاً من قلبه وعمل بما دلت عليه كانت له السعادة في الدنيا والآخرة ، ومن قالها كاذباً حقنت دمه وحفظت عليه ماله في الدنيا وحسابه على الله عز وجل . ومن فضائلها وعظمتها على سبيل المثال لا الحصر ما يأتي :

١ - عن معاذ رضي الله عنه يرفعه إلى النبي ﷺ : **«من كان آخر كلامه لا إلـٰه إلاّ الله دخل الجنة»**[2] .

---

(١) انظر : معنى لا إلـٰه إلاّ الله للعلامة صالح الفوزان ص ١٦ ، وفتاوى ابن عثيمين ٦/ ٦٦ .

(٢) أخرجه أبو داود ٣/ ١٩٠ برقم ٣١١٦ والحاكم وصححه ووافقه الذهبي ١/ ٣٥١، وصححه الألباني في صحيح أبي داود ٢/ ٦٠٢ .

٢- وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يغير إذا طلع الفجر وكان يستمع الأذان فإن سمع أذاناً أمسك وإلا أغار. فسمع رجلاً يقول: الله أكبر الله أكبر، فقال رسول الله ﷺ: «**على الفطرة**» ثم قال: أشهد أن لا إلـه إلاّ الله أشهد أن لا إلـه إلاّ الله. فقال رسول الله ﷺ: «**خرجت من النار**» فنظروا فإذا هو راعي مِعْزىً[1].

٣- وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله! أوصني. قال: «**إذا عملت سيئةً فأتبعها حسنة تمحها**». قال قلت: يا رسول الله! أمن الحسنات لا إلـه إلاّ الله؟ قال: «**هي أفضل الحسنات**»[2].

٤- وعن عبدالله بن عمرو عن النبي ﷺ أنَّ

---

(١) أخرجه مسلم ١/ ٢٨٨.

(٢) أخرجه أحمد في المسند ٥/ ١٦٩، وقال بشير محمد عيون، في تحقيقه لكلمة الإخلاص لابن رجب وإسناده حسن ص ٤٢.

نوحاً قال لابنه عند موته: «آمرك بلا إلـٰه إلاّ الله فإن السموات السبع والأرضين السبع، لو وضعت في كفة، ووضعت لا إلـٰه إلاّ الله في كفّة، رجحت بهن لا إلـٰه إلاّ الله، ولو أن السموات السبع والأرضين السبع كُنّ حلقة مُبهمة قصمتهن لا إلـٰه إلاّ الله»[1].

٥- وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «قال موسى عليه السلام يا رب علمني شيئاً أذكرك به وأدعوك به، قال: يا موسى قل لا إلـٰه إلاّ الله، قال يا رب كل عبادك يقول هذا. قال: قل لا إلـٰه إلاّ الله. قال إنما أريد شيئاً تخصني به. قال: يا موسى لو أن السموات السبع [وعامِرَهن غيري] والأرضين السبع في

(١) أخرجه أحمد في المسند ٢/ ١٧٠ و ٢٢٥، وصححه أحمد شاكر في تحقيق المسند برقم ٦٥٨٣ والحاكم ووافقه الذهبي ١/ ٤٨.

كفة ولا إِلـٰه إلاّ الله في كفة مالت بهن لا إِلـٰه إلاّ الله»[1].

٦- وعن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما في حديث طويل فيه: إن رجلاً يدعى يوم القيامة فينشر عليه تسعة وتسعين سجلاًّ كل سجل مثل مد البصر ـ يعني من السيئات ـ ويعترف بذلك كله ثم يُخرج له بطاقة فيها: «**أشهد أن لا إِلـٰه إلاّ الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله**» فتوضع السجلّات في كفة والبطاقة في كفَّةٍ فطاشت السجلات وثقلت البطاقة[2].

---

(١) الحاكم وصححه ووافقه الذهبي ١/ ٥٢٨، وابن حبان في صحيحه برقم ٢٣٢٤ (موارد)، والبغوي في شرح السنة ٥/ ٥٤ و ٥٥.

(٢) أخرجه الترمذي ٥/ ٢٤، وأحمد ٢/ ٢١٣، وابن حبان في صحيحه برقم ٢٥٢٤ (موارد) والحاكم، وصححه ووافقه الذهبي ١/ ٦، وابن ماجه برقم ٤٣٠٠.

٧- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما قال عبدٌ لا إلـه إلاّ الله قَط مخلصاً إلاّ فُتحت له أبوابُ السماء حتى تفضي إلى العرش ما اجتنبت الكبائر**»[١].

٨- وعن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**إن من أفضل الدعاء الحمد لله، وأفضل الذكر لا إلـه إلاّ الله**»[٢].

٩- وثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «**من قال: لا إلـه إلاّ الله والله أكبر، لا إلـه إلاّ الله وحده، لا إلـه إلاّ الله وحده لا شريك له، لا إلـه إلاّ الله له الملك وله الحمد، لا إلـه إلا الله ولا حول ولا قوة إلاّ**

---

(١) أخرجه الترمذي برقم ٣٨٤٢، وحسنه العلامة الألباني في صحيح الترمذي ٣/ ١٨٤ برقم ٢٨٣٩.

(٢) الترمذي٥/ ٤٦٢، وابن ماجه ٢/ ٤٩١٢، والحاكم، وصححه ووافقه الذهبي ١/ ٥٠٣، وانظر: صحيح الجامع ١/ ٣٦٢.

بالله. من قالها في مرضه، ثم مات لم تطعمه النار»[1].

١٠- وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن النبي ﷺ قال: **«خير الدعاء دعاء يوم عرفة، وخير ما قلت أنا والنبيون من قبلي لا إلـٰه إلاّ الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير»[2].**

١١- وعن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: **«من دخل السوق فقال: لا إلـٰه إلاّ الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، يحيي ويميت وهو حي**

---

(١) أخرجه الترمذي، وابن ماجه، وابن حبان في صحيحه برقم ٢٣٢٥ (موارد)، وصححه الألباني في صحيح الترمذي ٣/ ١٥٢، وصحيح ابن ماجه ٢/ ٣١٧.

(٢) أخرجه الترمذي، وحسنه الألباني في صحيح الترمذي ٣/ ١٨٤، وسلسلة الأحاديث الصحيحة ٤/ ٦.

لا يموت، بيده الخير وهو على كل شيء قدير، كتب الله له ألف ألف حسنة، ومحى عنه ألف ألف سيئة، ورفع له ألف ألف درجة»[1].

١٢- وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول ﷺ قال: «من قال: لا إلـٰه إلاّ الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير في يوم مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب، وكتبت له مائة حسنة، ومحيت عنه مائة سيئة، وكانت له حرزاً من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي، ولم يأت أحدٌ أفضل مما جاء به إلاّ أحد عمل أكثر من ذلك»[2].

١٣- وعن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه

---

(١) الترمذي، وابن ماجه، والحاكم ١/ ٥٣٨، وحسنه الألباني في صحيح الترمذي ٣/ ١٥٢.

(٢) البخاري ٤/ ٩٥، ومسلم ٤/ ٢٠٧١.

عن رسول الله ﷺ: «من قال: لا إلـه إلاّ الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير عشر مرار، كان كمن أعتق أربعة أنفس من ولد إسماعيل»[1].

١٤- وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «من قال: لا إلـه إلاّ الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير.. عشر مرات حين يصبح كتب الله له بها مائة حسنة، ومحا عنه بها مائة سيئة، وكانت له عدل رقبة، وحُفِظ بها يومئذٍ حتى يمسي ومن قالها مثل ذلك حين يمسي كان له مثل ذلك»[2].

١٥- وعن عُمارة بن شبيب أن رجلاً من الأنصار

---

(١) البخاري ٧/ ١٦٧، ومسلم بلفظه ٤/ ٢٠٧١.

(٢) أحمد بتحقيق أحمد شاكر برقم ٨٧٠٤، ١٦/ ٢٩٣، وحسن إسناده سماحة الشيخ ابن باز في تحفة الأخيار ص ٤٤.

حدثه أن رسول الله ﷺ قال: «**من قال بعد المغرب أو الصبح [لا إلـٰه إلاّ الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، يحيي ويُميتُ، وهو على كل شيء قدير] عشر مرات بعث الله له مَسْلَحَة**[1] **يحرسونه [من الشيطان] حتى يصبح، ومن حين يصبح حتى يمسي [وكتب له بها عشر حسنات موجبات، ومحى عنه عشر سيئات موبقات، وكانت له كعدل عشر رقاب مؤمنات]**»[2].

١٦ - وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**من قال حين يصبح أو يمسي: اللهم إني أصبحت أشهدك وأشهد حملة عرشك،**

---

(١) أي: الحرس.

(٢) أخرجه النسائي في عمل اليوم والليلة برقم ٥٧٧ و ٥٧٨، واللفظ من الروايتين وهو صحيح الإسناد، وجهالة الصحابي لا تضر. انظر: صحيح كتاب الأذكار للنووي ١/ ٢٥٣ برقم ٢٤٤/ ١٨٢، وعمل اليوم والليلة للنسائي بتحقيق د./ فاروق حمادة ص ٣٨٥.

وملائكتك، وجميع خلقك أنك أنت الله لا إلٰه إلاّ أنت، وحدك لا شريك لك، وأن محمداً عبدك ورسولك، أعتق الله ربعه من النار، فمن قالها مرتين أعتق الله نصفه، ومن قالها ثلاثاً أعتق الله ثلاثة أرباعه، فإن قالها أربعاً أعتقه الله من النار»[1]

ومن فضل الله تعالى أنه لم يحرم عباده الخير والفضل فقد ثبت عن النبي ﷺ أن من قالها إذا أصبح مرة واحدة كان له الفضل الآتي:

١٧- عن أبي عياش أن رسول الله ﷺ قال: «من قال إذا أصبح: لا إلـٰه إلاّ الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، كانت له

(١) أبو داود ٤/ ٣١٧، والبخاري في الأدب المفرد برقم ١٢٠١، والنسائي في عمل اليوم والليلة برقم ٩ ص ٧٠، وقال: «أعتقه الله ذلك اليوم من النار»، وابن السني برقم ٧٠، وحسن إسناد ابي داود والنسائي سماحة الشيخ ابن باز في تحفة الأخيار ص ٢٣.

عدل رقبة من ولد إسماعيل، وكتب له عشر حسنات، وحُطّ عنه عشر سيئات، ورفع له عشر درجات، وكان في حرز من الشيطان حتى يمسي، وإن قالها إذا أمسى كان له مثل ذلك حتى يصبح»(١).

١٨- وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «ما منكم من أحد يتوضأ فيبلغ أو فيسبغ الوضوء ثم يقول أشهد أن لا إلـٰه إلاّ الله وأن محمداً عبده ورسوله إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء»(٢).

١٩- وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أيضاً قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا قال المؤذن الله أكبر

---

(١) أبو داود ٤/ ٣١٩، وابن ماجه، واحمد ٤/ ٦٠، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب ١/ ٢٧٠، وصحيح أبي داود ٣/ ٩٥٧، وصحيح ابن ماجه ٢/ ٣٣١.

(٢) مسلم ١/ ٢١٠.

الله أكبر فقال أحدكم الله أكبر الله أكبر، ثم قال أشهد أن لا إلـه إلاّ الله. قال أشهد أن لا إلـه إلاّ الله. ثم قال أشهد أن محمداً رسول الله. قال أشهد أن محمداً رسول الله. ثم قال حي على الصلاة. قال: لا حول ولا قوة إلا بالله. ثم قال حي على الفلاح. قال لا حول ولا قوة إلا بالله، ثم قال الله أكبر الله أكبر. قال الله أكبر الله أكبر، ثم قال لا إلـه إلاّ الله. قال: لا إلـه إلاّ الله من قلبه دخل الجنة»[1].

٢٠- وعن عتبان بن مالك رضي الله عنه يرفعه إلى النبي ﷺ: «.. فإن الله حرم على النار من قال لا إلـه إلاّ الله يبتغي بذلك وجه الله»[2].

٢١- وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه عن

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ١/ ٢٨٩.

(٢) البخاري مع الفتح ١/ ٥١٩، ومسلم ١/ ٤٥٥.

رسول الله ﷺ أنه قال: «**من قال حين يسمع المؤذن: وأنا أشهد أن لا إلـٰه إلاّ الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله. رضيت بالله رباً، وبمحمد رسولاً، وبالإسلام ديناً غفر له ذنبه**»[1].

٢٢- وعن عبدالله بن زيد الأسلمي عن أبيه قال سمع النبي ﷺ رجلاً يدعو وهو يقول: «اللهم إني أسألك بأني أشهد أنك أنت الله لا إلـٰه إلاّ أنت، الأحد، الصمد الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد»، فقال: «**والذي نفسي بيده لقد سأل الله باسمه الأعظم الذي إذا دُعيَ به أجاب، وإذا سُئل به أعطى**»[2].

---

(١) أخرجه مسلم ١/ ٢٩٠.

(٢) أبو داود ٢/ ٧٩، والترمذي واللفظ له ٥/ ٥١٥، وابن ماجه ٢/ ١٢٦٧، وأحمد ٥/ ٣٦٠، وانظر صحيح الترمذي ٣/ ١٦٣.

٢٣- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**الإيمان بضع**[١] **وسبعون أو بضع وستون شعبة فأفضلها قولُ لا إلـه إلاّ الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة**[٢] **من الإيمان**»[٣].

٢٤- وعن أبي ذر رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**ما من عبد قال: لا إلـه إلاّ الله ثم مات على ذلك إلاّ دخل الجنة**»[٤].

٢٥- وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من شهد أن لا إلـه إلاّ الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله،**

---

(١) بضع: عدد مبهم مقيد بما بين الثلاث إلى التسع. الفتح ١/ ٥١.

(٢) شعبة: خصلة. المرجع السابق ١/ ٥٢.

(٣) البخاري مع الفتح ١/ ٥١، ومسلم بلفظه ١/ ٦٣.

(٤) البخاري مع الفتح ٣/ ١١٠، ومسلم واللفظ له ١/ ٩٥.

وأن عيسى عبدالله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، وأن الجنة حق، وأن النار حق، أدخله الله الجنة على ما كان من العمل» وفي رواية «أدخله الله الجنة من أي أبواب الجنة الثمانية شاء»[1].

٢٦- قتل أسامى رضي الله عنه رجلاً بعد أن قال لا إلـه إلاّ الله، فقال له رسول الله ﷺ: «**يا أسامة، قتلته بعد أن قال لا إلـه إلاّ الله؟**» قال: يا رسول الله إنما قالها خوفاً من السلاح. قال: «**أفلا شققت عن قلبه حتى تعلم أقالها أم لا؟**» وفي رواية: «**كيف تصنع بلا إلـه إلاّ الله إذا جاءت يوم القيامة**» قال: يا رسول الله استغفر لي، قال: «**وكيف تصنع بلا إلـه إلا الله إذا جاءت يوم القيامة**» فجعل لا يزيده على أن يقول: «**كيف تصنع بلا إلـه إلا الله إذا**

(١) البخاري مع الفتح ٦/ ٤٧٤، ومسلم ١/ ٥٧.

جاءت يوم القيامة؟» قال أسامة رضي الله عنه: فما زال يكررها حتى تمنيت أني أسلمت يومئذ.[1]

وغير ذلك من الأحاديث الكثيرة وقد ذكرت منها ستة أحاديث غير هذا في شروط لا إلـه إلاّ الله في هذا الكتاب[2].

وهذه الأحاديث دلت على أن من قال لا إلـه إلاّ الله دخل الجنة، ولكن لا بد من استكمال شروطها، وأركانها، ومقتضاها، والابتعاد عن نواقضها، فمن أتى بهذه الكلمة وقد سلم من أنواع الظلم الثلاثة: ظلم الشرك، وظلم العباد، وظلم العبد نفسه بالمعاصي فيما دون الشرك فله الأمن التام والهداية التامة، ويدخل الجنة برحمة الله وفضله

---

(١) مسلم ١/ ٩٧، وانظر: الحكمة في الدعوة إلى الله، للمؤلف ص ٧٣.

(٢) حديث عثمان في الشرط الأول، وحديث أبي هريرة في الثاني، وحديث معاذ في الخامس، وحديث أبي هريرة في السادس، وحديث أبي مالك في الثامن.

بغير حساب، ومن جاء بهذه الكلمة وقد نقصها بالذنوب التي لم يتب منها؛ فإن كانت صغائر كُفِّرت باجتناب الكبائر كما في قوله تعالى: ﴿ إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴾[1]، وإن كانت كبائر فهو تحت مشيئة الله تعالى إن شاء غفر له وإن شاء عذبه ثم أدخله الجنة[2].

وأحسن ما قيل في هذه الأحاديث ما قاله شيخ الإسلام ابن تيمية وغيره: «إن هذه الأحاديث إنما هي فيمن قالها ومات عليها، كما جاءت مقيدة، وقالها خالصاً من قلبه مستيقناً بها قلبه، غير شاك فيها بصدق ويقين، فإن حقيقة التوحيد انجذاب الروح إلى الله جملة، فمن شهد أن لا إلـٰه

---

(١) سورة النساء، الآية: ٣١.

(٢) انظر: تيسير العزيز الحميد ص ٧٠ و ٧١.

إلاّ الله خالصاً من قلبه دخل الجنة؛ لأن الإخلاص هو انجذاب القلب إلى الله تعالى بأن يتوب من الذنوب [كلها] توبة نصوحاً فإذا مات على تلك الحال نال ذلك، فإنه قد تواترت الأحاديث بأنه يخرج من النار من قال: لا إله إلاّ الله، وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة، وما يزن خردلة، وما يزن ذرة، وتواترت بأن كثيراً ممن يقول: لا إلـه إلاّ الله يدخل النار ثم يخرج منها، وتواترت بأن الله حرم النار أن تأكل أثر السجود من ابن آدم، فهؤلاء كانوا يصلون ويسجدون، وتواترت بأنه يحرم على النار من قال: لا إلـه إلاّ الله، ومن شهد أن لا إلـه إلاّ الله وأن محمداً رسول الله؛ لكن جاءت مقيدة بالقيود الثقال، وأكثر من يقولها لا يعرف الإخلاص ولا اليقين، ومن لا يعرف ذلك يخشى عليه أن يفتن عنها عند الموت

فيحال بينه وبينها، وأكثر من يقولها إنما يقولها تقليداً أو عادة ولم يخالط الإيمان بشاشة قلبه، وغالب من يفتن عند الموت وفي القبور أمثال هؤلاء كما في الحديث: «**سمعت الناس يقولون شيئاً فقلته**»، وغالب أعمال هؤلاء إنما هي تقليد واقتداء بأمثالهم وهم أقرب الناس من قوله تعالى: ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِم مُّقْتَدُونَ﴾[1] وحينئذ فلا منافاة بين الأحاديث فإذا قالها بإخلاص ويقين تام لم يكن في هذه الحال مصراً على ذنب أصلاً؛ فإن كمال إخلاصه ويقينه يوجب أن يكون الله أحب إليه من كل شيء، فإذاً لا يبقى في قلبه إرادة لما حرم الله، ولا كراهية لما أمر الله به، وهذا هو الذي يحرم على النار، وإن كانت له ذنوب قبل ذلك، فإن هذا الإيمان وهذه التوبة، وهذا

---

(١) سورة الزخرف، الآية: ٢٣.

الإخلاص ، وهذه المحبة، وهذا اليقين لا يتركون له ذنباً إلا يُمحى كما يُمحى الليل بالنهار[1] .

فتبين بذلك أن لا إلـه إلاّ الله لا بد من استكمال جميع شروطها، وأركانها، ومقتضاها، والابتعاد عن نواقضها، ونواقصها من المعاصي؛ ولهذا قال وهب بن منبه لمن سأله: أليس لا إله إلاّ الله مفتاح الجنة؛ قال: بلى، ولكن ليس مفتاح إلاّ وله أسنان فإن جئت بمفتاح له أسنان فتح وإلا لم يفتح[2] .



(١) تيسير العزيز الحميد ص ٨٧، ٨٨ بتصرف يسير .
(٢) انظر : كلمة الإخلاص لابن رجب ص ١١ .

المبحث الخامس: لا إلـه إلاّ الله تتضمن جميع أنواع التوحيد

الله سبحانه وتعالى: هو ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين، فإفراده تعالى وحده بالعبادة كلها وإخلاص الدين كله لله هذا هو توحيد الألوهية: وهو معنى (لا إلـه إلاّ الله) وهذا التوحيد يتضمن جميع أنواع التوحيد[1] ويستلزمها؛ فإن التوحيد نوعان:

١ - التوحيد الخبري العلمي الاعتقادي: وهو توحيد في المعرفة والإثبات، وهو توحيد الربوبية والأسماء والصفات، وهو إثبات حقيقة ذات الرب تعالى، وصفاته، وأفعاله، وأسمائه، وتكلمه بكتبه لمن شاء من عباده، وإثبات عموم قضائه،

---

(١) انظر: تيسير العزيز الحميد ص ٧٤، والقول السديد للسعدي ص ١٧، وبيان حقيقة التوحيد للعلامة الفوزان ص ٢٠.

وقدره، وحكمته، وتنزيهه عما لا يليق به.

٢- التوحيد الطلبي القصدي الإرادي: وهو توحيد في الطلب والقصد: وهو توحيد الإلـٰهية أو العبادة[١].

وتكون أنواع التوحيد على التفصيل **ثلاثة أنواع كالتالي**:

النوع الأول: توحيد الربوبية وهو الاعتقاد الجازم بأن الله تعالى هو الرب المتفرد بالخلق، والملك، والرزق، والتدبير، الذي ربّى جميع خلقه بالنعم، وربى خواص خلقه ـ وهم الأنبياء وأتباعهم المخلصين ـ بالعقائد الصحيحة والأخلاق الجميلة، والعلوم النافعة، والأعمال الصالحة، وهذه التربية النافعة للقلوب والأرواح المثمرة

(١) انظر: معارج القبول ١/ ٩٨، وفتح المجيد ١٧.

لسعادة الدنيا والآخرة.

النوع الثاني: توحيد الأسماء والصفات: وهو الاعتقاد الجازم بأن الله هو المنفرد بالكمال المطلق من جميع الوجوه، وذلك بإثبات ما أثبته الله لنفسه أو أثبته له رسوله ﷺ من جميع الأسماء والصفات، ومعانيها وأحكامها الواردة في الكتاب والسنة على الوجه اللائق بعظمته وجلاله من غير نفي لشيء منها، ولا تعطيل، ولا تحريف، ولا تمثيل، ولا تكييف. ونفي ما نفاه عن نفسه أو نفاه عنه رسوله ﷺ من النقائص والعيوب وعن كل ما ينافي كماله.

وتوحيد الربوبية والأسماء والصفات قد وضحه الله في كتابه كما في أول سورة الحديد، وسورة طه، وآخر سورة الحشر، وأول سورة آل عمران،

وسورة الإخلاص بكاملها، وغير ذلك[1] .

النوع الثالث: توحيد الإلهية، ويقال له: توحيد العبادة، وهو الاعتقاد الجازم ـ مع العلم والعمل والاعتراف ـ بأن الله ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين، وإفراده وحده بالعبادة كلها، وإخلاص الدين كله لله، وهو يستلزم توحيد الربوبية، وتوحيد الأسماء والصفات ويتضمنهما؛ لأن الألوهية التي هي صفة تعم أوصاف الكمال، وجميع أوصاف الربوبية والعظمة؛ فإنه المألوه المعبود لما له من أوصاف العظمة والجلال، ولما أسداه إلى خلقه من الفواضل والإفضال، **فتوحده سبحانه بصفات الكمال، وتفرده بالربوبية، يلزم منه أن لا يستحق العبادة أحد سواه.**

---

(١) انظر: فتح المجيد ص ١٧، والقول السديد في مقاصد التوحيد لعبدالرحمن السعدي ص ١٤-١٧، ومعارج القبول ١/ ٩٩.

وتوحيد الألوهية هو مقصود دعوة الرسل عليهم الصلاة والسلام من أولهم إلى آخرهم. وهذا النوع قد تضمنته سورة ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ و﴿قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾[1]، وأول سورة السجدة وآخرها، وأول سورة غافر ووسطها وآخرها، وأول سورة الأعراف وآخرها، وغالب سور القرآن. وكل سور القرآن قد تضمنت أنواع التوحيد، **فالقرآن كله من أوله إلى آخره في تقرير أنواع التوحيد؛** لأن القرآن كله إما خبر عن الله وأسمائه، وصفاته، وأفعاله، وأقواله، فهذا هو التوحيد العلمي الخبري الاعتقادي: «**توحيد الربوبية والأسماء**

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٦٤.

والصفات»، وإما دعوة إلى عبادة الله وحده لا شريك له وخلع ما يُعبد من دونه، وهذا هو التوحيد الإرادي الطلبي ـ **«توحيد الألوهية»** ـ. وإما أمر ونهي وإلزام بطاعة الله، وذلك من حقوق التوحيد ومكملاته، وإما خبر عن إكرام أهل التوحيد وما فعل بهم في الدنيا من النصر والتأييد، وما يكرمهم به في الآخرة، وهو جزاء توحيده سبحانه، وإما خبر عن أهل الشرك وما فعل بهم في الدنيا من النكال وما يحل بهم في الآخرة من العذاب فهو جزاء من خرج عن حكم التوحيد، فالقرآن كله في التوحيد، وحقوقه، وجزائه، وفي شأن الشرك وأهله وجزائهم[1].

(١) انظر: فتح المجيد ص ١٧-١٨، والقول السديد ص ١٦، ومعارج القبول ١/ ٩٨.

يجب أن يُبلّغ كل من أشرك بالله تعالى أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام دعوا أقوامهم إلى عبادة الله وحده دون ما سواه، وأن الحجة قد قامت على جميع الأمم، وما من أمة إلا بعث الله فيهم رسولاً، وكلهم يدعون إلى عبادة الله وحده لا شريك له[1]؛ قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا ٱلطَّٰغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ فَسِيرُوا فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾[2]، ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠

---

(١) انظر: درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية ٩/ ٣٤٤، وتفسير ابن كثير ٢/ ٥٦٧، والسعدي ٤/ ٢٠٢، وأضواء البيان للشنقيطي ٣/ ٢٦٨.

(٢) سورة النحل، الآية: ٣٦.

فَٱعْبُدُونِ﴾[1] ، وقال تعالى: ﴿وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ﴾[2] .

فبين سبحانه في هذه الآيات عن طريق العموم أن جميع الرسل دعوا إلى «لا إلـٰه إلاّ الله»، وخلع جميع المعبودات من دون الله[3] ، وفَصَّل ذلك في مواضع أخرى من كتابه، كقوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥٓ . . .﴾[4]، ﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾[5] ، ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَـٰلِحًا قَالَ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا

(١) سورة الأنبياء، الآية: ٢٥ .
(٢) سورة الزخرف، الآية: ٤٥ .
(٣) انظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ٣/ ٢٦٨ .
(٤) سورة الأعراف، الآية: ٥٩ .
(٥) سورة الأعراف، الآية: ٦٥ .

لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ﴾(١) ، ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ﴾(٢) ، ﴿ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾(٣) .

وهذا بلاغ مبين من الله لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد .



(١) سورة الأعراف، الآية : ٧٣ .

(٢) سورة الأعراف، الآية : ٨٥ .

(٣) سورة المائدة، الآية : ٧٢ .

وكلمة التوحيد لا تنفع قائلها إلاّ إذا عُمِلَ بشروطها، فقد كان المنافقون يقولونها وهم في الدرك الأسفل من النار؛ لأنهم لم يؤمنوا بها ولم يعملوا بشروطها، وكذلك اليهود تقولها وهم من أكفر الناس لعدم إيمانهم بها، وهكذا عَبّاد القبور والأولياء من هذه الأمة يقولونها بألسنتهم وهم يخالفونها بأقوالهم، وأفعالهم، وعقيدتهم، فلا تنفعهم ولا يكونون بقولها مسلمين؛ لأنهم ناقضوها بأقوالهم، وأعمالهم، وعقائدهم؛ ولهذا ذكر بعض أهل العلمَ لها سبعة شروط[١] ونظمها بعضهم بقوله:

العلـم، واليقيـن، والقبـول
والانقيـاد فـادرِ مـا أقـول

---

(١) انظر: فتح المجيد ص ٩١.

والصدق، والإخلاص والمحبة
وَفّقَكَ اللهُ لمـــا أحبـــه[(١)]

وقد زاد بعضهم شرطاً ثامناً فقال:

علم، يقين، وإخلاص، وصدقك مع
محبــة وانقيــاد والقبــول لهــا
وزيد ثامنها الكفران منك بما
سوى الإلـه من الأنداد قد أُلِها[(٢)]

وهذان البيتان قد استوفيا جميع شروطها:

الشرط الأول: العلم بمعناها المنافي للجهل وتقدم أن معناها: لا معبود بحق إلاّ الله تعالى. فجميع الآلهة التي يعبدها الناس سوى الله تعالى كلها

---

(١) معارج القبول للحافظ الحكمي ٢/ ٤١٨

(٢) تحفة الإخوان بأجوبة مهمة تتعلق بأركان الإسلام ص ٢٤، والشهادتان للعلامة عبدالله الجبرين ص ٧٧.

باطلة. قال تعالى ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾[1]، وقال ﷺ: من مات وهو يعلم أنه لا إِلٰه إلاّ الله دخل الجنة»[2].

الشرط الثاني: اليقين المنافي للشك، فلا بد في حق قائلها أن يكون على يقين بأن الله تعالى هو المعبود بحق؛ فإن الإيمان لا يغني فيه إلا علم اليقين لا علم الظن أو التوقف والتردد فكيف إذا دخله الشك، قال تعالى ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴾[3].

وقال ﷺ: «.. أشهد أن لا إِلٰه إلا الله وأني رسول الله لا يلقى الله بهما عبد غير شاكٍّ فيهما إلا

---

(١) سورة محمد، الآية: ١٩.

(٢) أخرجه مسلم عن عثمان رضي الله عنه ١/ ٥٥.

(٣) سورة الحجرات، الآية: ١٥.

دخل الجنة»[1]، وقال ﷺ في حديث طويل لأبي هريرة رضي الله عنه: «... **اذهب بنعلي هاتين فمن لقيت من وراء هذا الحائط يشهد أن لا إلـٰه إلاّ الله مستيقناً بها قلبُهُ فبشره بالجنة** ..»[2].

فاشترط في دخول قائلها الجنة أن يكون مستيقناً بها قلبه غير شاكٍّ فيها، وإذا انتفى الشرط انتفى المشروط[3]، وقال ابن مسعود رضي الله عنه «**اليقين الإِيمان كله والصبر نصف الإِيمان**»[4].

ولا شك أن من كان موقناً بمعنى لا إلـٰه إلاّ الله فإن جوارحه تنبعث لعبادة الرب وحده لا شريك

---

(١) أخرجه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه ١/ ٥٦.

(٢) أخرجه مسلم ١/ ٦٠.

(٣) انظر: معارج القبول ٢/ ٤٢٠.

(٤) اخرجه البخاري معلقاً مجزوماً به ١/ ٤٥، وقال الحافظ ابن حجر في فتح الباري ١/ ٤٨ وصله الطبراني بسند صحيح.

له، ولطاعة الرسول ﷺ؛ ولهذا كان ابن مسعود رضي الله عنه يقول: «اللهم زدنا إيماناً، ويقيناً وفقهاً»[1]، وذُكِرَ عن سفيان الثوري رحمه الله أنه قال: «لو أن اليقين وقع في القلب كما ينبغي لطار اشتياقاً إلى الجنة وهرباً من النار»[2].

الشرط الثالث: القبول المنافي للرد، وذلك أن يقبل ما دلت عليه هذه الكلمة بقلبه ولسانه ويرضى بذلك؛ ولهذا كان المشركون يعرفون معنى لا إلـه إلاّ الله ولكنهم لم يقبلوها فذمهم الله تعالى وقال: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾[3]، وقال: ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ

---

(١) ذكره الحافظ ابن حجر في الفتح وعزاه لأحمد في الإيمان بإسناد صحيح. انظر: فتح الباري ١/ ٤٨.

(٢) ذكره ابن حجر في فتح الباري ١/ ٤٨.

(٣) سورة الصافات، الآية: ٣٥.

ﭐلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجۡحَدُونَ﴾[1]، وقال ﷺ: «مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضاً فكان منها نقية قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكانت منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا، وأصاب منها طائفةً أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماءً ولا تُنبتُ كلأً، فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فَعِلَم وعلَّم، ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هدى الله الذي أرسلتُ به»[2].

الشرط الرابع: الانقياد المنافي للترك، فينقاد لما دلت عليه، ويعبد الله وحده، ويعمل بشريعته، ويؤمن بها ويعتقد أنها الحق، ولعل الفرق بينه

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ٣٣.

(٢) البخاري مع الفتح بلفظه ١/ ١٧٥، ومسلم ٤/ ١٧٨٧.

وبين القبول: أن الانقياد هو الاتباع بالأفعال والقبول إظهار صحة معنى ذلك بالقول ويلزم منهما جميعاً الاتباع ولكن الانقياد هو الاستسلام والإذعان وعدم الترك لشيء[1] من شروط لا إلـه إلاّ الله.

قال تعالى: ﴿ وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُواْ لَهُۥ ﴾[2]، ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ ﴾[3] ﴿ ۞ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴾[4]، وهذا معنى حديث: «**لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به**»[5]، وهذا هو تمام الانقياد

---

(١) انظر: (الشهادتان معناهما وما تستلزمه كل منهما) للعلامة الدكتور عبدالله بن جبرين ص ٨١، وتحفة الإخوان للإمام العلامة ابن باز ص ٢٦.

(٢) سورة الزمر، الآية: ٥٤.

(٣) سورة النساء، الآية: ١٢٥.

(٤) سورة لقمان، الآية: ٢٢.

(٥) ذكره النووي في الأربعين النووية وعزاه إلى كتاب الحجة وصحح إسناده، =

وغايته[1] .

الشرط الخامس: الصدق المنافي للكذب وهو أن يقولها وهو صادق في ذلك صدقاً من قلبه يطابق قلبه لسانه ولسانه قلبه؛ فإن قالها باللسان فقط وقلبه لم يؤمن بمعناها فيكون من جملة المنافقين كما قال سبحانه عنهم أنهم قالوا ﴿ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ﴾[2]، فكذبهم الله وقال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴾.

وقد ثبت اشتراط الصدق في الشهادة في الحديث الصحيح قال ﷺ: «**ما من أحد يشهد أن لا إلـه إلا الله صدقاً من قلبه إلا حرمه الله على النار**»[3].

= وانظر: الكلام على الحديث في جامع العلوم والحكم لابن رجب ص ٣٣٨ الحديث الحادي والأربعون.

(١) انظر: معارج القبول ٢/ ٤٢٢.

(٢) سورة المنافقون، الآية: ١.

(٣) البخاري مع الفتح ١/ ٢٢٦ من حديث معاذ رضي الله عنه ومسلم ١/ ٦١.

الشرط السادس: الإخلاص المنافي للشرك وهو تصفية العمل بصالح النية عن جميع شوائب الشرك فيخلص العبد لربه في جميع العبادات، وإذا صرف شيئاً منها لغير الله: من نبي أو ولي، أو ملَكٍ، أو صنم، أو جني أو غير ذلك فقد أشرك بالله ونقض هذا الشرط وهو شرط الإخلاص.

قال تعالى: ﴿فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾[1]، ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾[2]، وقال ﷺ: **«أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال لا إلـه إلاّ الله خالصاً من قلبه أو نفسه»**[3].

الشرط السابع: المحبة المنافية للبغض، فيجب

---

(١) سورة الزمر، الآيتان: ٢، ٣.

(٢) سورة البينة، الآية: ٥.

(٣) البخاري مع الفتح ١/ ١٩٣ برقم ٩٩ ورقم ٦٥٧٠.

على العبد أن يحب الله عز وجل، فيحب كلمة التوحيد، ويحب ما اقتضته ودلت عليه، قال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ ﴾[1]، وقال سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ﴾[2]، ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[3].

وقال ﷺ: **«ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان من كان الله ورسولُه أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في**

(١) سورة البقرة، الآية: ١٦٥.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٥٤.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٣١.

الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار»[1]، وإذا أحب العبد اللهَ عز وجل فإنه يحب من يحب الله ورسوله؛ لأن من أحب أحداً أحب من يحبه؛ ولهذا قال ﷺ: «من أحب الله، وأبغض لله، وأعطى لله، ومنع لله، فقد استكمل الإيمان»[2]؛ ولهذا قال ابن القيم رحمه الله تعالى في نونيته[3]:

شَرْطُ المحبَّةِ أن توافِقَ مَنْ
تُحِبَّ على محبَّتِهِ بِلا عِصيَان
فإذا ادعيتَ له المحبَّةَ مَع خلا
فِكَ ما يُحِبُّ فأنت ذو بهتان

---

(١) البخاري مع الفتح ١/ ٧٢ من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، ومسلم ١/ ٦٦

(٢) أخرجه أبو داود، وصححه الألباني في صحيح أبي داود ٣/ ٨٨٦.

(٣) انظر: شرح القصيدة النونية لابن القيم للدكتور محمد خليل الهراس ٢/ ١٣٤.

أتُحِبُّ أعداء الحبيبِ وتدّعي
حباً لـه مـا ذَاك فـي إمكـانِ
وكذا تُعادي جاهداً أحبَابَـهُ
أين المحبةُ يا أخا الشيطانِ

اللهم إنا نسألك حبك وحب من يحبك وحب كل عمل يقربنا إلى حبك.

الشرط الثامن: الكفر بما يعبد من دون الله، وهو أن يتبرَّأ من عبادة غير الله، ويعتقد أنها باطلة كما قال تعالى: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ﴾[2].

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٥٦.
(٢) سورة النحل، الآية: ٣٦.

قال الإمام محمد بن عبدالوهاب رحمه الله تعالى: «فأما صفة الكفر بالطاغوت فهو أن تعتقد بطلان عبادة غير الله وتتركها وتكفِّر أهلها وتعاديهم..

وقال ابن القيم رحمه الله تعالى: الطاغوت ما تجاوز به العبد حده من معبود، أو متبوع أو مطاع، والطواغيت كثيرة ورؤوسهم خمسة: إبليس لعنه الله، ومن عُبِدَ وهو راضٍ، ومن دعا الناس إلى عبادة نفسه، ومن ادّعىٰ شيئاً من علم الغيب، ومن حكم بغير ما أنزل الله[1].

وقد ثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**من قال لا إلـٰه إلاّ الله، وكفر بما يُعبدُ من دون الله، حَرُمَ**

---

(١) الأصول الثلاثة مع حاشيتها لابن القاسم ص ٩٨ وحاشيتها لابن عثيمين ضمن فتاواه ٦/ ١٥٦.
وانظر: مؤلفات الإمام محمد بن عبدالوهاب، طبع جامعة الإمام محمد، القسم الأول، العقيدة والآداب الإسلامية ص ٣٧٦، وقد ذكر لك لكل رأسٍ دليلاً.

مالُهُ ودمه وحسابه على الله»[1] .

وأما من كان لا يرضى بعبادة المخلوقين له من دون الله : كالأنبياء، والصالحين، والملائكة، فإنهم ليسوا بطواغيت وإنما الطاغوت هو الشيطان الذي دعا الناس إلى عبادتهم وزينها للناس. ومن أعظم الأدلة على وجوب الكفر بالطاغوت وجميع ما يعبد من دون الله قول إبراهيم عليه الصلاة والسلام للكفّار ﴿ إِنَّنِي بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ۞ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴾[2] ، فاستثنى من المعبودين ربه، وذكر الله سبحانه أن هذه البراءة وهذه الموالاة هي تفسير شهادة أن لا إِلٰه إلاّ الله فقال : ﴿ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾[3] ، وقول

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ١/ ٥٣ عن أبي مالك رضي الله عنه.

(٢) سورة الزخرف، الآيتان : ٢٦، ٢٧ .

(٣) سورة الزخرف، الآية : ٢٨ .

النبي ﷺ في الحديث السابق: «**من قال لا إله إلاّ الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه وحسابه على الله**» وهذا من أعظم ما يبين معنى لا إلـه إلاّ الله؛ فإنه لم يجعل التلفظ بها عاصماً للدم والمال، بل ولا معرفة معناها مع لفظها، بل ولا الإقرار بذلك، بل ولا كونه لا يدعو إلاّ الله وحده لا شريك له، بل لا يحرم ماله ودمه حتى يضيف إلى ذلك الكفر بما يُعبد من دون الله، فإن شك أو توقف لم يحرم ماله ودمه، فيا لها من مسألة ما أعظمها وأجلّها، ويا لَهُ من بيانٍ ما أوضحه، وحجةٍ ما أقطعها للمنازع[1].

نسأل الله لنا ولجميع المسلمين العفو والعافية في الدنيا والآخرة من كل سوء ومكروه[2].

---

(١) فتح المجيد بشرح كتاب التوحيد ص ١٢٣.

(٢) وانظر: تحفة الإخوان للعلامة ابن باز ص ٢٧، وفتح المجيد ص ٩١، ومعارج القبول ٢/ ٤١٨، والشهادتان للعلامة ابن جبرين ص ٧٧.

الفصل الثاني: تحقيق شهادة أن محمداً رسول الله ﷺ

المبحث الأول: معناها ومقتضاها

١- معنى «شهادة أن محمداً رسول الله» هو الإقرار باللسان، والاعتقاد الجازم بالقلب بأن محمد بن عبدالله الهاشمي القرشي عبد الله ورسوله أرسله إلى جميع الخلق كافة: من الجن والإنس[1].

٢- ومقتضى هذه الشهادة: **طاعته فيما أمر، وتصديقُهُ فيما أخبر، واجتنابُ ما عنه نهى وزجر، وأن لا يُعبد اللهُ إلا بما شرع**[2].

فيجب الإيمان بشريعته ﷺ، والانقياد لها: قولاً، وعملاً، واعتقاداً: من الإيمان بالله، وملائكته وكتبه ورسله، وباليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره،

(١) الأصول الثلاثة وحاشيتها للعلامة محمد العثيمين ضمن فتاواه ٦/ ٧١.
(٢) الأصول الثلاثة مع حاشيتها لابن القاسم ص ٥٧.

والقيام الكامل بأركان الإسلام: من شهادة، وصلاة، وزكاة، وصيام، وحج، وغير ذلك مما شرع الله على يده ﷺ كالإحسان بأنواعه[1].

المبحث الثاني: وجوب معرفة النبي ﷺ

وهذا هو الأصل الثالث من الأصول الثلاثة التي يجب على كل مسلم معرفتها وهي: معرفة العبد ربه، ودينه، ونبيه محمد ﷺ[2]. وهو محمد ابن عبدالله بن عبدالمطلب، ابن هاشم، وهاشم من قريش وقريش من العرب، والعرب من ذرية إسماعيل ابن إبراهيم الخليل عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام، وله من العمر ثلاث وستون سنة، منها أربعون قبل النبوة، وثلاث وعشرون

---

(١) انظر: مجموع فتاوى العلامة ابن باز ٤/ ١٢ و ١٤.

(٢) الأصول الثلاثة لشيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب.

نبياً رسولاً ، نبيء باقراء وأرسل بالمدثر ، وبلده مكة وهاجر إلى المدينة ، بعثه الله بالنذارة عن الشرك ويدعو إلى التوحيد، أخذ على هذا عشر سنين يدعو إلى التوحيد ، وبعد العشر عُرِجَ به إلى السماء وفرضت عليه الصلوات الخمس ، وصلى في مكة ثلاث سنين ، وبعدها أُمِرَ بالهجرة إلى المدينة ، فلما استقر بالمدينة أُمِرَ ببقية شرائع الإسلام مثل: الزكاة والصلاة ، والحج ، والجهاد ، والأذان ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وغير ذلك أخذ على هذا عشر سنين وبعدها توفي صلوات الله وسلامه عليه ، ودينه باق وهذا دينه ، لا خير إلا دل أمته عليه ولا شر إلا حذرها منه ، وهو خاتم الأنبياء والمرسلين لا نبي بعده ، وقد بعثه الله إلى الناس كافة ، وافترض الله طاعته على الجن والانس ، فمن أطاعه دخل الجنة

ومن عصاه دخل النار[1] .

وتحصل معرفته ﷺ بدراسة حياته، وما كان عليه من العبادة، والأخلاق الجميلة، والدعوة إلى الله عز وجل، والجهاد في سبيل الله تعالى، وغير ذلك من جوانب حياته ﷺ، فينبغي لكل مسلم يريد أن يزداد معرفة بنبيه وإيماناً به أن يطالع من سيرته ما تيسر : في حربه وسلمه، وشدته ورخائه، وسفره وإقامته، وجميع أحواله نسأل الله عز وجل أن يجعلنا من المتبعين لرسوله ﷺ باطناً وظاهراً، وأن يثبتنا على ذلك حتى نلقاه وهو راض عنا[2] .

(١) الأصول الثلاثة، لمحمد بن عبدالوهاب رحمه الله تعالى ص ٧٥ و ٧٦ .

(٢) انظر : فتاوى العلامة محمد بن صالح العثيمين ٦/ ٣٩ .

المبحث الثالث: الحُجَجُ والبراهين على صدقه ﷺ

تمهــــيد:

ظهر على يده ﷺ من الآيات والمعجزات الخارقة للعادات عند التحدي أكثر من سائر الأنبياء، والعهد بهذه المعجزات قريب، وناقلوها أصدق الخلق وأبرّهم، ونَقْلُها ثابت بالتَّوَاتُر قرناً بعد قرن، وأعظمها مُعجزة: القرآن، لم يتغير ولم يتبدّل منه شيء، بل كأنه منزل الآن، وما أخبر به يقع كل وقت على الوجه الذي أخبر به، كأنه يُشاهدُه عياناً، وقد عجز الأوّلون والآخرون عن الإتيان بمثله ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [1].

(١) سورة الإسراء، الآية: ٨٨.

ولا يمكن ليهودي أن يؤمن بنبوة موسى ﷺ إن لم يؤمن بنبوة محمد ﷺ، ولا يمكن لنصراني أن يُقِرُ بنبوة المسيح ﷺ إلا بعد إقراره بنبوة محمد ﷺ؛ لأن من كفر بنبوة نبي واحد فقد كفر بالأنبياء كلهم، ولم ينفعه إيمانه ببعضهم دون بعض، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٖ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٖ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ۞ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ حَقّٗاۚ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا ۞ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمۡ يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ أُوْلَٰٓئِكَ سَوۡفَ يُؤۡتِيهِمۡ أُجُورَهُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا﴾ (١).

ولا ينفع أهل الكتاب شهادة المسلمين بنبوة

---

(١) سورة النساء، الآيات: ١٥٠-١٥٢.

موسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام؛ لأن المسلمين آمنوا بهما على يد محمد ﷺ، وكان إيمانهم بهما من الإيمان بمحمد ﷺ، وبما جاء به، فلولاه ما عرفنا نبوّتهما، ولا سيما وليس بأيدي أهل الكتاب عن أنبيائهم ما يُوجب الإيمان بهم؛ فلولا القرآن ومحمد ﷺ ما عرفنا شيئًا من آيات الأنبياء المتقدمين، فمحمد ﷺ وكتابه هو الذي قرّر نبوة موسى وعيسى، لا اليهود والنصارى، بل نفس ظهوره ومجيئه تصديقاً لنبوتهما؛ فإنهما أخبرا بظهوره، وبشَّرا بظهوره: ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾ [1]، فلما بُعث كان بعثه تصديقاً لهما، قال تعالى عن محمد ﷺ: ﴿بَلْ جَآءَ بِٱلْحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [2].

---

(١) سورة الصف، الآية : ٦ .

(٢) سورة الصافات، الآية : ٣٧ .

فمجيئه تصديق لهما من جهتين: من جهة إخبارهم بمجيئه ومبعثه، ومن جهة إخباره بمثل ما أخبروا به وشهادته بنبوتهم، ولو كان كاذباً لم يصدق من قبله، كما يفعل أعداء الأنبياء.[1]

ومن أعظم الأدلة على صدقه ﷺ أنه قال لليهود لما بهتوه: ﴿فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾[2]، ولم يجسر أحد منهم على ذلك ـ مع اجتماعهم على تكذيبه وعداوته ـ لما أخبرهم بحلول الموت بهم إن أجابوه إلى ذلك، فلولا معرفتهم بحاله في كتبهم، وصدقه فيما يخبرهم به لسألوا الله الموت لأي الفريقين أكذب، منهم أو من المسلمين على وجه

---

(١) انظر: درء تعارض العقل والنقل ٥/ ٧٨-٨٣، ودقائق التفسير لابن تيمية ٤/ ٣٤، وإغاثة اللهفان لابن القيم ٢/ ٣٥٠، ٣٥١، وهداية الحيارى ص ٦٣٥.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٩٤.

المباهلة[1]، ونظير ذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ * وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾[2].

وغير ذلك من دلائل نبوته وصدقه[3] ﷺ التي

---

(١) انظر: درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية ٧/ ٩٩، وتفسير ابن كثير ١/ ١٢٨، ١٢٩، وتفسير السعدي ١/ ١١٤.

(٢) سورة الجمعة، الآيتان: ٦، ٧.

(٣) ومن دلائل نبوته ﷺ في هذا الزمن ما نُشر في صحيفة البلاد السعودية، في عددها رقم ٩٤٢٢، في ١٥/٨/ ١٤١٠هـ، الموافق ١٢ مارس ١٩٩٠م، ودخل في الإسلام بسبب ذلك أربع قُرى نيجيرية، وهذا نص المنشور:
لقى أحد الضالين والمستهزئين بالإسلام حتفه أثر تشكيكه في الإسلام والقرآن وإعلانه أمام جمع من الناس قائلاً: إن كان القرآن والإسلام حقاً فإني أسأل الله ألا أرجع بيتي حياً. ويشا الله أن يلقى هذا الكافر حتفه قبل أن يعود إلى منزله فعلاً!.
هذا وقد وقعت هذه الحادثة في قرية (بوب) في ولاية غونفولى بشمال نيجيريا وأسلم على أثرها أهل القرية وثلاث قرى مجاورة. ويقول شهود عيان رأوا الحادثة: إن المكذِّب ويُدعى عمر غيمو وهو قس في كنيسة باتيسى بقرية بوب وقف خطيباً في الكنيسة وبدأ في التطاول على=

سأذكرها ـ إن شاء الله تعالى ـ.

ولا شكَّ أن الآيات والبيّنات الدالّة على نبوته ﷺ وعموم رسالته كثيرة متنوعة، وهي أكثر وأعظم من آيات غيره من الأنبياء، وجميع الأنواع

= الإسلام والقرآن الكريم وردد العديد من الأكاذيب والأباطيل والافتراءات على الإسلام والقرآن الكريم. ثم قال في نهاية خطبته: (إن كان القرآن والدين الإسلامي حقاً فأسأل الرب ألا يرجعني إلى بيتي حياً). وخرج القس من الكنيسة وهو على ثقة تامة بأنه لن يصيبه شيء وسيصل إلى منزله في صحة وعافية ليتخذ ذلك فيما بعد دليلاً يؤكد به للناس افتراءه وأكاذيبه. ويشاء الله عز وجل وعلى الرغم من أن الطريق إلى منزله لا توجد به أي أخطار تهدد حياة الإنسان، يشاء الله أن تعثر قدماه وهو يعبر جدول ماء صغير وسقط فيه حتى مات وسارع إليه جماعة من المسيحيين في دهشة وذهول ونقلوه إلى المستشفى والتي رفضت إستلامه لوفاته، فذهبوا به إلى مستشفى آخر وثالث وكان التأكيد أنه قد لاقى حتفه ليسقط في أيديهم لحدوث الوفاة بهذه البساطة ودون حدوث أي إصابة أو جرح. والأعجب من ذلك أن أحد المارة كان قد حاول في البداية إنقاذ هذا المستهزىء عند تعثره فلقى مصرعه.

تجدر الإشارة إلى أن هذا القس كان مسيحياً، ثم أسلم، وعاش فترة بين المسلمين يتعامل معهم ويتعاملون معه إلا أنه نكص على عقبه وأرتد عن الإسلام وأصبح حرباً على دين الله إلى أن لقى مصيره المحتوم.

تنحصر في نوعين:

أ - منها: ما مضى وصار معلوماً بالخبر الصّادق كمعجزات موسى وعيسى.

ب- ومنها: ما هو باق إلى اليوم كالقرآن، والعلم والإيمان اللذان في أتباعه، فإن ذلك من أعلام نبوته، وكشريعته التي أتى بها، والآيات التي يظهرها الله وقتاً بعد وقتٍ من كرامات الصّالحين من أمته، وظهور دينه بالحجّة والبرهان، وصفاته الموجودة في كتب الأنبياء قبله وغير ذلك[1]، وهذا باب واسع لا أستطيع حصره؛ ولكن سأقتصر في إثبات نبوته ﷺ على مطلبين كالتالي.

(١) انظر: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ٤/ ٦٧-٧١.

المطلب الأول: معجزات القرآن العظيم:

المعجزة لغة: ما أُعجِزَ به الخصم عند التحدي[1].

وهي أمر خارق للعادة يعجز البشر متفرقين ومجتمعين عن الإتيان بمثله، يجعله الله على يد من يختاره لنبوّته؛ ليدلّ على صدقه وصحّة رسالته[2].

---

(١) انظر: القاموس المحيط، باب الزاي، فصل العين، ص ٦٦٣.

(٢) انظر: مناهل العرفان في علوم القرآن للزرقاني، ١/ ٦٦، والمعجم الوسيط، مادة: عجز، ٢/ ٥٨٥، والإرشاد إلى صحيح الاعتقاد، للدكتور صالح الفوزان ٢/ ١٥٧.

والفرق بين المعجزة والكرامة: هو أن المعجزة أمر خارق للعادة مقرون بدعوة النبَّوة والتحدي للعباد. أما الكرامة: فهي أمر خارق للعادة غير مقرون بدعوى النبوة ولا التحدي، ولا تكون الكرامة إلا لعبد ظاهره الصلاح، مصحوباً بصحةالاعتقاد والعمل الصالح. أما إذا ظهر الأمر الخارق على أيدي المنحرفين فهو من الأحوال الشيطانية. وإذا ظهر الأمر الخارق على يد إنسان مجهول الحال؛ فإن حاله يعرض على الكتاب والسنة كما قال الإمام الشافعي رحمه الله: (إذا رأيتم الرجل يمشي على الماء ويطير في الهواء فلا تغترّوا به حتى تعرضوا أمره على الكتاب والسنة). انظر شرح العقيدة الطحاوية، ص ٥١٠، وسير أعلام النبلاء، ١٠/ ٢٣، والأجوبة الأصولية على العقيدة الواسطية للسلمان، ص ٣١١.

والقرآن الكريم كلام الله المنزّل على محمد ﷺ هو المعجزة العظمى، الباقية على مرور الدّهور والأزمان، المعجز للأولين والآخرين إلى قيام الساعة[1]، قال ﷺ: **«ما من الأنبياء نبيّ إلا أُعطى من الآيات على ما مثله آمن البشر، وإنّما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إليّ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة»**[2].

وليس المراد في هذا الحديث حصر معجزاته ﷺ في القرآن، ولا أنه لم يؤت من المعجزات الحسّية كمن تقدّمه، بل المراد أن القرآن المعجزة العظمى التي اختص بها دون غيره؛ لأن كل نبي أُعطِيَ

---

(١) انظر: الداعي إلى الإسلام للأنباري ص ٣٩٣.

(٢) البخاري مع الفتح، كتاب فضائل القرآن، باب كيف نزل الوحي ٩/ ٣، ومسلم، كتاب الإيمان باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ إلى جميع الناس ١/ ١٣٤.

معجزة خاصة به، تحدّى بها من أُرسِلَ إليهم، وكانت معجزة كل نبي تقع مناسبة لحال قومه؛ ولهذا لما كان السحر فاشياً في قوم فرعون جاءه موسى بالعصا على صورة ما يصنع السّحرة، لكنها تلقف ما صنعوا، ولم يقع ذلك بعينه لغيره.

ولما كان الأطباء في غاية الظهور جاء عيسى بما حيّر الأطباء، من: إحياء الموتى، وإبراء الأكمه، والأبْرَصِ، وكل ذلك من جنس عملهم، ولكن لم تصل إليه قدرتهم.

ولما كانت العرب أرباب الفصاحة والبلاغة والخطابة جعل الله سبحانه معجزة نبينا محمد ﷺ القرآن الكريم الذي[1] ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ

---

(١) انظر: فتح الباري ٩/ ٦، ٧، وشرح النووي على مسلم ٢/ ١٨٨، وأعلام النبوة للماوردي ص ٥٣، وإظهار الحق ٢/ ١٠١.

يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾[1].

ولكن معجزة القرآن الكريم تتميز عن سائر المعجزات؛ لأنه حجة مستمرّة، باقية على مرّ العصور، والبراهين التي كانت للأنبياء انقرض زمانها في حياتهم ولم يبق منها إلا الخبر عنها، أما القرآن فلا يزال حجة قائمة كأنما يسمعها السّامع من فم رسول الله ﷺ، ولاستمرار هذه الحجة البالغة قال ﷺ: «**فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يومَ القيامةِ**»[2].

والقرآن الكريم آية بيّنة، معجزة من وجوه متعدّدة، من جهة اللفظ، ومن جهة النظم، والبلاغة في دلالة اللفظ على المعنى، ومن جهة

(١) سورة فصلت: الآية: ٤٢.

(٢) انظر: البداية والنهاية ٦/ ٦٩، وتقدم تخريج الحديث.

معانيه التي أمر بها، ومعانيه التي أخبر بها عن الله تعالى وأسمائه وصفاته وملائكته، وغير ذلك من الوجوه الكثيرة التي ذكر كل عالمٍ ما فتح الله عليه به منها[1]، وسأقتصر على أربعةٍ وجوه من باب المثال لا الحصر بإيجاز كالتالي:

الوجه الأول: الإعجاز البياني والبلاغي:

من الإعجاز القرآني ما اشتمل عليه من البلاغة والبيان، والتركيب المعجز، الذي تحدّى به الإنس والجنّ أن يأتوا بمثله، فعجزوا عن ذلك، قال تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ وَلَوۡ كَانَ بَعۡضُهُمۡ

(١) انظر: الجواب الصحيح ٤/ ٧٤، ٧٥، وأعلام النبوة للماوردي ص ٥٣-٧٠، والبداية والنهاية ٦/ ٥٤، ٦٥، والبرهان في علوم القرآن للزركشي ٢/ ٩٠-١٢٤، ومناهل العرفان للزرقاني ٢/ ٢٧٧-٣٠٨.

لِبَعۡضٖ ظَهِيرٗا﴾[1]، وقال تعالى: ﴿أَمۡ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥۚ بَل لَّا يُؤۡمِنُونَ * فَلۡيَأۡتُواْ بِحَدِيثٖ مِّثۡلِهِۦٓ إِن كَانُواْ صَٰدِقِينَ﴾[2].

وبعد هذا التحدّى انقطعوا فلم يتقدّم أحد، فمدّ لهم في الحبل وتحدّاهم بعشر سور مثله: ﴿أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ قُلۡ فَأۡتُواْ بِعَشۡرِ سُوَرٖ مِّثۡلِهِۦ مُفۡتَرَيَٰتٖ وَٱدۡعُواْ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾[3]، فعجزوا فأرخى لهم في الحبل فقال تعالى: ﴿أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ قُلۡ فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّثۡلِهِۦ وَٱدۡعُواْ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾[4]، ثم أعاد التحدي في المدينة بعد الهجرة، فقال تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّمَّا نَزَّلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ٨٨.

(٢) سورة الطور، الآيتان: ٣٣، ٣٤.

(٣) سورة هود، الآية: ١٣.

(٤) سورة يونس، الآية: ٣٨.

مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ﴾ [1].

فقوله تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟﴾ أي: فإن لم تفعلوا في الماضي، ولن تستطيعوا ذلك في المستقبل، فثبت التحدّي وأنهم لا يستطيعون أن يأتوا بسورة من مثله فيما يستقبل من الزمان، كما أخبر قبل ذلك، وأمر النبي وهو بمكة أن يقول: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [2].

فعم بأمره له أن يخبر جميع الخلق معجزاً لهم،

---

(١) سورة البقرة، الآيتان: ٢٣، ٢٤.

(٢) سورة الإسراء، الآية ٨٨.

قاطعاً بأنهم إذا اجتمعوا لا يأتون بمثل هذا القرآن، ولو تظاهروا وتعاونوا على ذلك، وهذا التحدي لجميع الخلق، وقد سمعه كل من سمع القرآن، وعرفه الخاص والعام، وعلم مع ذلك أنهم لم يعارضوا ، ولا أتوا بسورة مثله من حين بُعِثَ ﷺ إلى اليوم والأمر على ذلك.[1]

والقرآن يشتمل على آلاف المعجزات؛ لأنه مائة وأربع عشرة سورة، وقد وقع التحدي بسورة واحدة، وأقصر سورة في القرآن سورة الكوثر، وهي ثلاث آيات قصار، والقرآن يزيد بالاتفاق على ستة آلاف ومائتي آية، ومقدار سورة الكوثر من آيات أو آية طويلة على ترتيب كلماتها له حكم

(١) انظر: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ٤/ ٧١-٧٧، والبداية والنهاية ٦/ ٩٥.

السورة الواحدة، ويقع بذلك التحدي والإعجاز[1]؛ ولهذا كان القرآن الكريم يغني عن جميع المعجزات الحسّية والمعنوية لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

الوجه الثاني: الإخبار عن الغيوب:

من وجوه الإعجاز القرآني أنه اشتمل على أخبار كثيرة من الغيوب التي لا علم لمحمد ﷺ بها، ولا سبيل لبشر مثله أن يعلمها، وهذا مما يدّل على أن القرآن كلام الله تعالى الذي لا تخفى عليه خافية: ﴿ ۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ

---

(١) انظر: استخراج الجدال من القرآن الكريم لابن نجم ص ١٠٠، وفتح الباري ٦/ ٥٨٢، ومناهل العرفان للزرقاني ١/ ٣٣٦، ١/ ٢٣١، ٢٣٢.

﴿إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ .[1]

والإِخبار بالغيوب أنواع :

النوع الأول: غيوب الماضي : وتتمثل في القصص ، الرائعة وجميع ما أخبر الله به عن ماضي الأزمان .

النوع الثاني: غيوب الحاضر : أخبر الله رسوله ﷺ بغيوب حاضرة، ككشف أسرار المنافقين، والأخطاء التي وقع فيها بعض المسلمين، أو غير ذلك مما لا يعلمه إلا الله ، وأطلع عليه رسوله ﷺ .

النوع الثالث: غيوب المستقبل : أخبر الله رسوله ﷺ بأمور لم تقع ، ثم وقعت كما أخبر ، فدّل ذلك على أن القرآن كلام الله ، وأن محمداً ﷺ رسول الله .[2]

---

(١) سورة الأنعام، الآية : ٥٩ .

(٢) انظر : الداعي إلى الإسلام للأنباري ص ٤٢٤-٤٢٨ ، وإظهار الحق ٦٥-١٠٧ ، ومناهل العرفان ٢/ ٢٦٣ ، ومعالم الدعوة للديلمي ١/ ٤٦٣ .
وقد أخبر ﷺ بأمور غيبية كثيرة جدًّا. انظر : جامع الأصول لابن الأثير ١١/ ٣١١-٣٣١.

الوجه الثالث: الإعجاز التّشريعي:

القرآن العظيم جاء بهدايات كاملة تامّة، تفي بحاجات جميع البشر في كل زمان ومكان؛ لأن الذي أنزله هو العليم بكل شيءٍ، خالق البشرية والخبير بما يُصلحها ويُفسدها، وما ينفعها ويضرّها، فإذا شرع أمراً جاء في أعلى درجات الحكمة والخبرة: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [(١)].

ويزداد الوضوح عند التأمل في أحوال الأنظمة والقوانين البشرية التي يظهر عجزها عن معالجة المشكلات البشرية ومسايرة الأوضاع والأزمنة والأحوال، مما يضطر أصحابها إلى الاستمرار في التعديل والزيادة والنّقص، فَيُلْغُونَ غداً ما وضوعوه اليوم؛ لأن الإنسان محلّ النقص والخطأ، والجهل

(١) سورة الملك، الآية: ١٤.

لأعماق النفس البشرية، والجهل بما يحدث غداً في أوضاع الإنسان وأحواله وفيما يصلح البشرية في كل عصر ومصر.

وهذا دليل حسيّ مُشاهد على عجز جميع البشر عن الإتيان بأنظمة تصلح الخلق وتقوّم أخلاقهم، وعلى أن القرآن كلام الله سليم من كل عيب، كفيل برعاية مصالح العباد، وهدايتهم إلى كلِّ ما يصلح أحوالهم في الدنيا والآخرة إذا تمسكوا به واهتدوا بهديه[1]، قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾[2].

---

(١) انظر: مناهل العرفان للزرقاني ٢/ ٢٤٧، وأثر تطبيق الحدود في المجتمع الإسلامي، من البحوث المقدمة لمؤتمر الفقه الإسلامي بجامعة الإمام محمد ابن سعود الإسلامية ص ١١٧، ومعالم الدعوة للديلمي ١/ ٤٢٦.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ٩.

وبالجملة فإن الشريعة التي جاء بها كتاب الله تعالى مدارها على ثلاث مصالح:

المصلحة الأولى: درء المفاسد عن ستة أشياء[1]: حفظ الدين، والنفس، والعقل، والنّسب، والعرض، والمال.

المصلحة الثانية: جلب المصالح[2]: فقد فتح القرآن الأبواب لجلب المصالح في جميع الميادين، وسدّ كل ذريعة تؤدي إلى الضرّر.

المصلحة الثالثة: الجري على مكارم الأخلاق ومحاسن العادات، فالقرآن الكريم حلَّ جميع المشاكل العالمية التي عجز عنها البشر، ولم يترك

---

(١) درء المفاسد هو المعروف عند أهل الأصول بالضروريات. انظر: أضواء البيان ٣/ ٤٤٨.

(٢) جلب المصالح يعرف عند أهل الأصول بالحاجيات. انظر: أضواء البيان ٣/ ٤٤٨.

جانباً من الجوانب التي يحتاجها البشر في الدنيا والآخرة إلا وضع لها القواعد، وهدى إليها بأقوم الطرق وأعدلها.[1]

الوجه الرابع: الإعجاز العلمي الحديث:

يتصل بما ذكر من إعجاز القرآن في إخباره عن الأمور الغيبية المستقبلة نوع جديد كشف عنه العلم في العصر الحديث، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَـٰتِنَا فِى ٱلْـَٔافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾.[2]

لقد تحقّق هذا الوعد من ربنا في الأزمنة المتأخرة، فرأى الناس آيات الله في آفاق المخلوقات بأدقّ

---

(١) انظر: أضواء البيان ٣/ ٤٠٩-٤٥٧ فقد أوضح هذا الجانب بالأدلة العقلية والنقلية جزاه الله خيراً وغفر له.

(٢) سورة فصلت، الآية: ٥٣.

الأجهزة والوسائل: كالطائرات، والغواصات، وغير ذلك من أدقِّ الأجهزة الحديثة التي لم يمتلكها الإنسان إلا في العصر الحديث. فمن أخبر محمداً ﷺ بهذه الأمور الغيبية قبل ألف وأربعمائة وخمسة عشر سنة؟ إن هذا يدلّ على أن القرآن كلام الله وأن محمداً رسول الله ﷺ حقًّا.

وقد اكتُشِفَ هذا الإعجاز العلمي: في الأرض وفي السماء، وفي البحار والقفار، وفي الإنسان والحيوان، والنبات، والأشجار، والحشرات، وغير ذلك، ولا يتّسع المقام لذكر الأمثلة العديدة على ذلك.[1]

---

(١) انظر: أمثلة كثيرة في الإعجاز العلمي في القرآن الكريم في مناهل العرفان في علوم القرآن للزرقاني ٢/ ٢٧٨-٢٨٤، وكتاب الإيمان، لعبدالمجيد الزنداني ص ٥٥-٥٩، وكتاب التوحيد للزنداني أيضاً ١/ ٧٤-٧٧.

المطلب الثاني: معجزات النبي ﷺ الحسية:

معجزات النبي ﷺ الحسيّة الخارقة للعادة كثيرة جدًّا[1]، لا أستطيع حصرها، وسأقتصر بإيجاز على ذكر تسعة أنواع منها على سبيل المثال، كالآتي:

النوع الأول: المعجزات العلوية:

١- من هذه المعجزات انشقاق القمر: وهذه من أمهات معجزاته ﷺ الدالّة على صدقه، فقد سأل أهل مكة رسول الله ﷺ أن يُريهم آية، فأراهم القمر شقتين حتى رأوا جبل حِرَاء بينهما[2]، قال

---

(١) قال ابن تيمية رحمه الله: «قد جمعت نحو ألف معجزة». انظر: الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان لابن تيمية ص ١٥٨.
ومعجزاته ﷺ تزيد على ألف ومائتين، وقيل: ثلاثة آلاف معجزة. انظر: فتح الباري ٦/ ٥٨٣.

(٢) البخاري مع الفتح، كتاب مناقب الأنصار، باب انشقاق القمر ٧/ ١٨٢، ٦/ ٦٣١، ٨/ ٦١٧، ومسلم، صفات المنافقين، باب انشقاق القمر، ٤/ ٢١٥٩.

تعالى: ﴿ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ ۝ وَإِن يَرَوۡاْ ءَايَةً يُعۡرِضُواْ وَيَقُولُواْ سِحۡرٌ مُّسۡتَمِرٌّ .﴾ الآيات .(١)

٢- صعوده ﷺ ليلة الإسراء والمعراج إلى ما فوق السمٰوات: وهذا ما أخبر به القرآن الكريم، وتواترت به الأحاديث، قال تعالى: ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ٱلَّذِي بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ .(٢)

وهذه الآية من أعظم معجزاته ﷺ، فإنّه أُسِرَي به إلى بيت المقدس، وقطع المسافة في زمن قصير، ثم عُرِجَ به إلى السمٰوات، ثم صعد إلى مكان يسمع فيه صريف الأقلام، ورأى الجنة، وفرضت عليه

---

(١) سورة القمر، الآيتان: ١-٢ .

(٢) سورة الإسراء، الآية: ١ .

الصلوات، ورجع إلى مكة قبل أن يُصبح، فكذبته قريش، وطلبوا منه علامات تدلّ على صدقه، ومن ذلك علامات بيت المقدس، لعلمهم بأنه ﷺ لم ير بيت المقدس قبل ذلك، فجلَّى الله له بيت المقدس ينظر إليه ويخبرهم بعلاماته وما سألوا عنه.[1]

وغير ذلك من الآيات العلوية، كحراسة السماء بالشّهب عند بعثته ﷺ.

النوع الثاني: آيات الجوّ:

١- من هذه المعجزات طاعةُ السَّحاب له ﷺ، بإذن الله تعالى في حصوله ونزول المطر وذهابه بدعائه ﷺ.[2]

---

(١) انظر: البخاري مع الفتح، كتاب مناقب الأنصار، باب حديث الإسراء ٧/ ١٩٦، ومسلم، كتاب الإيمان، باب ذكر المسيح ابن مريم والمسيح الدجال ١/ ١٥٦.

(٢) انظر: البخاري مع الفتح، كتاب الجمعة، باب الاستسقاء في الخطبة=

٢- ومن هذا النوع نصر الله للنبي ﷺ بالرِّيح التي قال تعالى عنها: ﴿إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا﴾[1]، وهذه الرِّيحُ هي ريح الصَّبا، أرسلها على الأحزاب، قال ﷺ: «**نُصِرْتُ بالصّبَا، وأُهْلِكَت عادٌ بالدُّبُور**»[2]، وغير ذلك.

النوع الثالث: تصرّفه في الإنس والجن والبهائم:

وهذا باب واسع، منه على سبيل المثال:

أ- تصرفه في الإنس:

١- كان علي بن أبي طالب رضي الله عنه يشتكي

= يوم الجمعة ٢/ ٤١٣، ومسلم، كتاب الاستسقاء، باب الدعاء في الاستسقاء ٢/ ٦١٤.

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٩.

(٢) مسلم، كتاب الاستسقاء، باب التعوذ عند رؤية الريح والغيم والفرح بالمطر ١/ ٦١٦.

عينيه من وجع بهما، فبصَقَ رسول الله ﷺ فيهما ودعا له فبرأ، كأن لم يكن به وجع .[1]

٢- انكسرت ساق عبدالله بن عتيك رضي الله عنه فمسحها رسول الله ﷺ، فكأنها لم تنكسر قطُّ .[2]

٣- أُصِيبَ سلمة بن الأكوع بضربة في ساقه يوم خيبر، فنفث فيها رسول الله ﷺ ثلاث نفثات، فما اشتكاها سلمة بعد ذلك .[3]

ب- تصرفه في الجنّ والشياطين:

١- كان ﷺ يُخرِج الجنّ من الإنس بمجرد المخاطبة. فيقول: «**اخرج عدوّ الله أنا رسول الله**» .[4]

---

(١) انظر: البخاري، كتاب الجهاد، باب فضل من أسلم على يديه رجل ٦/ ١٤٤، ومسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل علي رضي الله عنه ٤/ ١٨٧٢ .
(٢) انظر: البخاري مع الفتح، كتاب المغازي، باب قتل أبي رافع ٧/ ٣٤٠ .
(٣) انظر: المرجع السابق، كتاب المغازي، باب غزوة خيبر ٧/ ٤٧٥ .
(٤) مسند أحمد ٤/ ١٧٠-١٧٢، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: ٩/ ٦ . =

٢- أخرج الشيطان من صدر عثمان بن أبي العاص، فضرب صدر عثمان بيده ثلاث مرات وتفل في فمه وقال: «**اخرج عدوّ الله**» فعل ذلك ثلاث مرات، فلم يُخالط عثمان الشيطان بعد ذلك.[1]

جـ- تصرّفه في البهائم:

وقد حصل له مراراً، ومن ذلك أنه جاء بعير فسجد للنبي ﷺ، فقال أصحابه: يا رسول الله! تسجد لك البهائم والشّجر، فنحن أحقّ أن نسجد لك، فقال ﷺ: «**اعبُدُوا ربَّكمُ، وأكْرِمُوا أخَاكمُ، ولو كنتُ آمراً أحداً أن يَسْجُدَ لأحدٍ لأمْرتُ المرأةَ أن تسجُدَ لِزَوْجِهَا..**».[2]

= رجال أحمد رجال الصحيح.

(١) ابن ماجه، كتاب الطب، باب الفزع والأرق وما يتعوذ منه، بسند حسن ٢/ ١١٧٤، وانظر: صحيح ابن ماجه ٢/ ٢٧٣.

(٢) مسند أحمد ٦/ ٧٦، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد، ٩/ ٩: إسناده =

النوع الرابع: تأثيره في الأشجار والثمار والخشب

أ- تأثيره في الأشجار:

١- جاء أعرابي إلى رسول الله ﷺ وهو في سفر. فدعاه رسول الله ﷺ إلى الإسلام، فقال الأعرابي: ومن يشهد لك على ما تقول؟ فقال رسول الله ﷺ: «**هذه السَّلَمَة**»[١]، فدعاها رسول الله ﷺ وهي بشاطىء الوادي، فأقبلت تخدّ[٢] الأرض خَدًّا حتى قامَتْ بين يَدَيْهِ، فأشهدها ثلاثاً، فشهِدتْ ثلاثاً أنه كما قال، ثم رجعَتْ إلى مَنْبَتِهَا.[٣]

= جيد، وانظر: معجزات من هذا النوع مسند الإمام أحمد ٤/ ١٧٠-١٧٢، ومجمع الزوائد للهيثمي ٩/ ٣-١٢.

(١) شجرة من شجر البادية، انظر: المصباح المنير، مادة «سلم»، ١/ ٢٨٦، ومختار الصّحاح، مادة «سلم»، ص ١٣١.

(٢) أي: تشقها أخدوداً. وانظر: المصباح المنير، مادة (خدّ) ١/ ١٦٥، ومختار الصّحاح، مادة (خدّ) ص ٧٢.

(٣) الدرامي، في المقدمة، باب ما أكرم الله نبيه من إيمان الشجر به والبهائم والجن ١/ ١٧، وإسناده صحيح، وانظر: مشكاة المصابيح برقم =

٢- أراد رسول الله ﷺ أن يقضي حاجته وهو في سفر، فلم يجد ما يستتر به، فأخذ بغصن شجرة وقال: «**انقادي عليَّ بإذنِ اللهِ**» فانقادت معه كالبعير المخشوم[(١)] حتى أتى الشجرةَ الأخرى ففعل وقال كذلك، ثم أمرهما أن تلتئما عليه فالتأمتا، ثم بعد قضاء الحاجة رجعت كل شجرة، وقامت كل واحدة منهما على ساق.[(٢)]

ب- تأثيره في الثّمار:

جاء أعرابي إلى رسول الله ﷺ فقال: بم أعرف أنك نبي؟ قال: «**إن دعوت هذا العِذق من هذه**

= ٥٩٢٥، ٣/ ١٦٦٦.

(١) الذي جعل في أنفه عوداً، ويشد فيه حبل ليذلّ وينقاد إذا كان صعباً.
انظر: شرح النووي على صحيح مسلم ١٨/ ١٤٦.

(٢) انظر: صحيح مسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب حديث جابر الطويل وقصة أبي اليسر ٤/ ٢٣٠٦.

النخلة اتشهد أنّي رسول الله؟» فدعاه رسول الله ﷺ فجعل ينزل من النخلة حتى سقط إلى النبي ﷺ، ثم قال: «**ارجع**»، فعاد، فأسلم الأعرابي.[1]

جـ- تأثيره في الخشب:

كان ﷺ يخطب في المدينة يوم الجمعة على جذع نخل، فلما صنع له المنبر وَرقِيَ عليه صاحَ الجذْعُ صيَاحَ الصبي، [وخارَ كما تَخُورُ البقرة، جزعاً على رسول الله ﷺ **فالتزمه رسول الله ﷺ وضمه إليه - وهو يئنّ - ومسحه حتى سكن**].[2]

(١) الترمذي، كتاب المناقب، باب حدثنا عباد، ٥/ ٥٩٤، وأحمد ١/ ١٢٣، والحاكم وصححه على شرط مسلم، ووافقه الذهبي ٢/ ٦٢٠.
(٢) البخاري مع الفتح، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام ٦/ ٦٠٢، وما بين المعكوفين عند أحمد في المسند، ٢/ ١٠٩.

النوع الخامس: تأثيره في الجبال والأحجار وتسخيرها له:

أ- تأثيره في الجبال:

صعد النبي ﷺ أُحداً، ومعه أبو بكر، وعمر، وعثمان، فرجف بهم، فضربه ﷺ برجله، وقال: **«اثبت أحد، فإن عليك نبي، وصِدِّيق، وشهيدان»**.[1]

ب- تأثيره في الحجارة:

وقال ﷺ: **«إني لأعرف حجراً بمكة كان يُسلِّم عليّ قبل أن أُبعثَ، إنِّي لأعرفه الآن»**.[2]

جـ- تأثيره في تراب الأرض:

عندما كان رسول الله ﷺ في معركة حنين، واشتدّ القتال، نزل عن بغلته وقبض قبضة من

---

(١) البخاري مع الفتح، كتاب فضائل الصحابة، باب قوله ﷺ: لو كنت متخذا خليلاً. ٧/ ٢٢، ٤٠، ٧/ ٥٣.

(٢) مسلم، كتاب الفضائل، باب فضل نسب النبي ﷺ وتسليم الحجر عليه قبل النبوة ٤/ ١٧٨٢.

تراب الأرض، واستقبل به وجوه القوم، فقال: «شَاهَتْ الوُجُوهُ»، فما خلق الله إنساناً منهم إلا ملأ عينيه من تلك القبضة، فهزمهم الله وقسم غنائمهم بين المسلمين.[1]

النوع السادس: تفجير الماء، وزيادة الطعام والشراب والثمار:

أ- نبع الماء وزيادة الشراب:

هذا النوع حصل لرسول الله ﷺ مراتٍ كثيرة جدًّا[2]، ومن ذلك:

١- عطش الناس في الحديبية، فوضع يده ﷺ في الركوة فجعل الماء يثور بين أصابعه كالعيون،

---

(١) مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب غزوة حنين ٣/ ١٤٠٢. وحصل له مثل ذلك في معركة بدر.

(٢) انظر: البخاري مع الفتح، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، ٦/ ٥٨٠، من حديث ٣٥٧١-٣٥٧٧، ومسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب قضاء الصلاة الفائتة واستحباب تعجيل قضائها، ١/ ٤٧١-٤٧٧، وجامع الأصول لابن الأثير ١١/ ٣٣٤-٣٥١.

فشربُوا وتوضّؤُوا، قيل لجابر: كم كنتم؟ قال: لو كنا مائة ألف لكفانا، كنا خمس عشرة مائة.(١)

٢- قدم ﷺ تبوك، فوجد عينها كشراك النّعل، فَغُرِفَ له منها قليلاً قليلاً، حتى اجتمع له شيء قليل، فغسل فيه يديه ووجهه، ثم أعاده فيها فجرت العين بماء منهمر، وبقيت العين إلى الآن.(٢)

٣- قصة أبي هريرة رضي الله عنه وقدح اللّبن، وزيادة القدح حتى شرب منه أضياف الإسلام.(٣)

ب- زيادة الطعام وتكثيره لما جعل الله فيه ﷺ من البركة:

١- كان النبي ﷺ في ألف وأربعمائة من أصحابه

---

(١) البخاري مع الفتح، كتاب المناقب، باب علامة النبوة ٦/ ٥٨١، ٧/ ٤٤١، ٤٤٣، ١٠/ ١٠١، ومسلم، كتاب الإمارة، باب استحباب مبايعة الإمام الجيش عند إرادة القتال ٣/ ١٤٨٤.

(٢) انظر: صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب معجزات النبي ﷺ ٤/ ١٧٨٤.

(٣) البخاري مع الفتح، كتاب الرقاق، باب كيف كان يعيش النبي ﷺ وأصحابه وتخليهم عن الدنيا ١١/ ٢٨١.

في غزوة، فأصابهم مشقة، فأمر ﷺ أن يجمعوا ما معهم من طعام وبسطوا سفرة، وكان الطعام شيئًا يسيراً فبارك فيه، وأكلوا، وحَشْوا أوعيتهم من ذلك الطعام.(١)

٢- بقي الصّحابة والنبي ﷺ في غزوة الخندق ثلاثة أيام لا يذوقون طعاماً، فذبح جابر بن عبدالله رضي الله عنه عناقاً، وطحنت زوجته صاعاً من شعير، ثم دعا النبي ﷺ، فصاح النبي ﷺ بأهل الخندق يدعوهم على هذا الطعام اليسير، ثم جاء النبي ﷺ وبصقَ في العجين وبارك، وبصقَ في البرمة وبارك، قال جابر رضي الله عنهما: وهم ألف، فأقسم بالله لقد أكلوا حتى تركوه وانحرفوا، وإن

(١) البخاري مع الفتح، كتاب الجهاد، باب حمل الزاد في الغزو ٦/ ١٢٩، ومسلم، اللقطة، باب استحباب خلط الأزواد إذا قلت ٣/ ١٣٥٤.

برمتنا لتغطّ كما هي[1]، وإن عجيننا ليخبز كما هو[2] وهذا باب واسع لا يمكن حصره.

جـ- زيادة الثمار والحبوب:

١- جاء رجل يستطعم النبي ﷺ فأطعمه شطْرَ وَسْقِ شَعِيرٍ، فما زال الرجل يأكل منه وأهله حتى كاله، فأتى النبي ﷺ فقال: «**لو لم تكله لأكلتم منه ولقام لكم**»[3].

٢- كان على والد جابر دين، وما في نخله لا يقضي ما عليه سنين، فجاء جابر إلى رسول الله ﷺ ليحضر الكيل، فحضر، ومشى حول الجرن، ثم

(١) أي: تغلي ويسمع غليانها. انظر: الفتح ٧/ ٣٩٩.

(٢) البخاري مع الفتح، كتاب المغازي، باب غزوة الخندق، ٧/ ٣٩٥، ٣٩٦، ومسلم، كتاب الأشربة، باب جواز استتباع غيره إلى دار من يثق برضاه بذلك، ٣/ ١٦١٠.

(٣) مسلم، كتاب الفضائل، باب معجزات النبي ﷺ ٤/ ١٧٨٤.

أمر جابراً أن يكيل فكال لهم حتى أوفاهم، قال جابر رضي الله عنه: «وبقي تمري وكأنه لم ينقص منه شيء»[1].

النوع السابع: تأييد الله له بالملائكة:

أيد الله رسوله بالملائكة في عدة مواضع، نُصرةً له ولدينه، منها على سبيل المثال:

١- في الهجرة، قال المولى جل وعَلا: ﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيۡهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٖ لَّمۡ تَرَوۡهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفۡلَىٰۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلۡعُلۡيَاۗ﴾[2].

٢- في بدر، قال الله تعالى: ﴿إِذۡ تَسۡتَغِيثُونَ

---

(١) البخاري مع الفتح، كتاب المناقب، باب علامات النبوة ٦/ ٥٨٧، ٧/ ٣٥٧، وانظر: شرح روايات الحديث في الفتح ٦/ ٥٩٣.
(٢) سورة التوبة، الآية: ٤٠.

﴿... رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ [1].

٣- في أُحدٍ، قاتل جبريل وميكائيل عليهما السلام عن يمين النبي ﷺ ويساره [2].

٤- في الخندق قال الله عز وجل: ﴿إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا﴾ [3].

٥- في غزوة بني قُرَيْظَةَ: جاء جبريل إلى النبي ﷺ بعد أن وضع السلاح من غزوة الخندق واغتسل، فقال له جبريل: قد وضعت السلاح؟ والله ما وضعناه فاخرج إليهم، فسأله النبي ﷺ: «إلى أين؟» فأشار

---

(١) سورة الأنفال، الآية: ٩.

(٢) البخاري مع الفتح، كتاب المغازي، باب: إذ همت طائفتان.. ٧/ ٣٥٨، ومسلم في كتاب الفضائل، باب قتال جبريل وميكائيل عن النبي ﷺ يوم أحد ٤/ ١٨٠٢.

(٣) سورة الأنفال، الآية: ٩.

إلى بني قريظة، فخرج ﷺ، ونصره الله عليهم.[1]

٦- في حنين، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾.[2]

النوع الثامن: كفاية الله له أعداءه وعصمته من الناس:

هذا النوع من أعظم الآيات الدالّة على صدق رسالة محمد ﷺ، ومن ذلك:

١- كفاه الله تعالى المشركين والمستهزئين، فلم يصلوا إليه بسوء، قال تعالى: ﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ

---

(١) البخاري مع الفتح، كتاب المغازي، باب مرجع النبي ﷺ من الأحزاب ٧/ ٤٠٧، ومسلم، كتاب الجهاد، باب جواز قتال من نقض العهد ٣/ ١٣٨٩.

(٢) سورة التوبة، الآية: ٢٦.

﴿وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ * إِنَّا كَفَيۡنَٰكَ ٱلۡمُسۡتَهۡزِءِينَ﴾ (1).

٢- كفاه الله أهل الكتاب، قال تعالى: ﴿فَإِنۡ ءَامَنُواْ بِمِثۡلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا هُمۡ فِي شِقَاقٖۖ فَسَيَكۡفِيكَهُمُ ٱللَّهُۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ (2).

٣- وعصمه تعالى من جميع الناس بقوله: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ﴾ (3).

وهذا خبر عام بأن الله يعصمه من جميع الناس، فكلٌّ من هذه الأخبار الثلاثة قد وقعت كما أخبر الله تعالى، فقد كفاه أعداءه بأنواع عجيبة خارجة

---

(١) سورة الحجر، الآيتان: ٩٤، ٩٥.

(٢) سورة البقرة، الآية؛ ١٣٧.

(٣) سورة المائدة، الآية: ٦٧.

عن العادة المعروفة، ونصره مع كثرة أعدائه وقوتهم وغلبتهم، وانتقم ممن عاداه.

ومن ذلك أن رجلاً نصرانيًا أسلم، وقرأ البقرة وآل عمران، وكان يكتب للنبي ﷺ ثم ارتدّ وعاد نصرانيًا، فكان يقول: ما يَدْرِي محمد إلا ما كتبت له، فأماته الله، فدفنه قومه، فأصبح وقد أخرجته الأرض من بطنها، فأعادوا دفنه، وأعمقوا قبره، فأصبح وقد أخرجته الأرض منبوذاً على ظهرها فأعادو دفنه وأعمقوا له فأصبح وقد لفظته الأرض، فعلموا أن هذا ليس من الناس فتركوه منبوذاً.[1]

النوع التاسع: إجابة دعواته ﷺ:

الأدعية التي دعا بها النبي ﷺ وشُوهدت

---

(١) البخاري مع الفتح، كتاب المنافب، باب علامات النبوة ٦/ ٦٢٤، ومسلم، صفات المنافقين ٤/ ٢١٤٥، برقم ٢٧٨١.

إجابتهاكالشمس في رابعة النهار كثيرة جدًّا، لا تُحصر ولا يتّسع المقام لذكر اكثرها، ولكن منها على سبيل المثال:

١- قال ﷺ لأنس رضي الله عنه: «**اللهم أكثر ماله وولده، وبارك له فيما أعطيته**»(١)، [**وأطل حياته واغفر له**](٢)، قال أنس: فوالله إنّ مالي لكثير، وإن ولدي وولد ولدي ليتعادُّون على نحو المائة اليوم(٣)، [وحدثتني ابنتي أمينة أنه دُفِنَ لصلبي مقدم الحجاج البصرة بضع وعشرون ومائة](٤).

---

(١) البخاري مع الفتح، كتاب الصيام، باب من زار قوماً فلم يفطر عندهم ٤/ ٢٢٨، و ١١/ ١٤٤، ومسلم، في فضائل الصحابة، باب فضل أنس ٤/ ١٩٢٨.

(٢) البخاري في الأدب المفرد، برقم ٦٥٣، وانظر: فتح الباري ١١/ ١٤٥، وسير أعلام النبلاء ٢/ ٢١٩.

(٣) مسلم، فضائل الصحابة، باب فضل أنس ٤/ ١٩٢٩.

(٤) البخاري مع الفتح، باب من زار قوماً فلم يفطر عندهم ٤/ ٢٢٨.

وكان له رضي الله عنه بستان يحمل في السنة الفاكهة مرتين، وكان فيها ريحان يجيء منها ريح المسك.[1]

٢- ودعا ﷺ لأم أبي هريرة بالهداية فهداها الله فوراً، وأسلمت.[2]

٣- وقال ﷺ لعروة بن أبي الجعد البارقي: «اللهم بارك له في صفقة يمينه»، فكان يقف في الكوفة ويربح أربعين ألفاً قبل أن يرجع إلى أهله[3]، [وكان لو اشترى التراب لربح فيه].[4]

٤- ودعاؤه ﷺ على بعض أعدائه، فلم تتخلّف

---

(١) الترمذي، كتاب المناقب، باب مناقب أنس ٥/ ٦٨٣، وانظر: صحيح الترمذي ٣/ ٣٣٤.

(٢) مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضل أبي هريرة ٤/ ١٩٣٨.

(٣) أحمد في المسند ٤/ ٣٧٦.

(٤) البخاري مع الفتح، كتاب المناقب، باب حدثنا محمد بن المثنى ٦/ ٦٣٢.

الإجابة، كأبي جهل، وأميّة، وعقبة، وعتبة.[1]

٥- ودعاؤه يوم بدر، ويوم حنين، وعلى سراقة ابن مالك رضي الله عنه، وغيره كثير.[2]

والحقيقة أن العاقل المنصف يقف أمام هذه الدلائل والبينات مذعوراً، ولا يسعه إلا أن يقول: أشهد أن لا إلـه إلا الله وأن محمداً رسول الله ﷺ.

* * *

(١) انظر: البخاري مع الفتح ١/ ٣٤٩، ومسلم ٣/ ١٤١٨، وتقدم تخريجه ص ١٤٩.

(٢) انظر: دعاء يوم بدر في صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر، ٣/ ١٣٨٤، ويوم حنين في مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب غزوة الطائف، ٣/ ١٤٠٢، وقصة سراقة في البخاري مع الفتح، كتاب مناقب الأنصار، باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة، ٧/ ٢٣٨، وانظر: ص ١٧٥، ١٧٩.

المبحث الرابع: حقوقه ﷺ على أمته

١ - الإيمان الصادق به ﷺ وتصديقه فيما أتى به قال تعالى: ﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلۡنَاۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ﴾[1]، ﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلۡأُمِّيِّ ٱلَّذِى يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ﴾[2]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤۡتِكُمۡ كِفۡلَيۡنِ مِن رَّحۡمَتِهِۦ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ نُورٗا تَمۡشُونَ بِهِۦ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾[3]، ﴿وَمَن لَّمۡ يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ فَإِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ سَعِيرٗا﴾[4]، وقال ﷺ: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا

---

(١) سورة التغابن، الآية: ٨.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٥٨.

(٣) سورة الحديد، الآية: ٢٨.

(٤) سورة الفتح، الآية: ١٣.

إِلـه إلا الله ويؤمنوا بي وبما جئت به»[1].

والإِيمان به ﷺ هو تصديق نبوته، وأن الله أرسله للجن والإنس، وتصديقه في جميع ما جاء به وقاله، ومطابقة تصديق القلب بذلك شهادة اللسان، بأنه رسول الله، فإذا اجتمع التصديق به بالقلب والنطق بالشهادة باللسان ثم تطبيق ذلك بالعمل بما جاء به تمَّ الإِيمان به ﷺ[2].

٢- وجوب طاعته ﷺ والحذر من معصيته، فإذا وجب الإِيمان به وتصديقه فيما جاء به وجبت طاعته؛ لأن ذلك مما أتى به، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ وَأَنتُمۡ تَسۡمَعُونَ ﴾[3]، ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا

---

(١) مسلم ١/ ٥٢.

(٢) انظر: الشفاء بتعريف حقوق المصطفى ﷺ للقاضي عياض ٢/ ٥٣٩.

(٣) سورة الأنفال، الآية: ٢٠.

نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾[1]، ﴿قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟﴾[2]، ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[3]، ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾[4]، ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾[5]، ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۞ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾[6].

---

(١) سورة الحشر، الآية: ٧.

(٢) سورة النور، الآية: ٥٤.

(٣) سورة النور، الآية: ٦٣.

(٤) سورة الأحزاب، الآية: ٧١.

(٥) سورة الأحزاب، الآية: ٣٦.

(٦) سورة النساء، الآيتان: ١٣، ١٤.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله**»(١)، وعنه رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**كل الناس يدخل الجنة إلا من أبى، قالوا يا رسول الله! ومن يأبى؟ قال: من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى**»(٢).

وعن ابن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**بعثت بين يدي الساعة بالسيف حتى يعبد الله وحده لا شريك له، وجُعِلَ رِزقي تحت ظلِّ رمحي، وجُعِلَ الذِّلُ والصَّغارُ على من خالف أمري، ومن تشبه بقوم فهو منهم**»(٣).

---

(١) البخاري مع الفتح ١٣/ ١١١ برقم ٧١٣٧.

(٢) البخاري مع الفتح ١٣/ ٢٤٩ برقم ٧٢٨٠.

(٣) أحمد في المسند ١/ ٩٢، والبخاري مع الفتح معلقًا ٦/ ٩٨، وحسنه العلامة ابن باز، وانظر: صحيح الجامع ٣/ ٨.

٣- اتباعه ﷺ واتخاذه قدوة في جميع الأمور والاقتداء بهديه، قال تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[1]، ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾[3] فيجب السير على هديه والتزام سنته والحذر من مخالفته، قال ﷺ: «**فمن رغب عن سنتي فليس مني**»[4].

٤- محبته ﷺ أكثر من الأهل والولد والوالد والناس أجمعين، قال الله تعالى: ﴿ قُلْ إِن كَانَ

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٣١.
(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٢١.
(٣) سورة الأعراف، الآية: ١٥٨.
(٤) البخاري مع الفتح ٩/ ١٠٤ برقم ٥٠٦٣.

ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾[1]، وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين**»[2].

وقد ثبت في الحديث أن من ثواب محبته الاجتماع معه في الجنة وذلك عندما سأله رجل عن الساعة فقال: «ما أعددت لها؟» قال: يا رسول الله ما أعددت لها كبير صيام، ولا صلاة، ولا صدقة، ولكني أحب الله ورسوله. قال: «**فأنت مع من**

---

(١) سورة التوبة، الآية: ٢٤.

(٢) البخاري مع الفتح ١/ ٥٨ برقم ١٥، ومسلم ١/ ٦٧.

أحببت»[1]. قال أنس فما فرحنا بعد الإسلام فرحاً أشد من قول النبي ﷺ: **«فإنك مع من أحببت»**، فأنا أحب الله ورسوله، وأبا بكر، وعمر. فأرجو أن أكون معهم وإن لم أعمل بأعمالهم[2].

ولما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: يارسول الله لأنت أحب إليَّ من كل شيء إلا من نفسي فقال النبي ﷺ: **«لا والذي نفسي بيده حتى أكون أحب إليك من نفسك»**، فقال له عمر فإنه الآن والله لأنت أحب إليّ من نفسي فقال النبي ﷺ: **«الآن يا عمر»**[3]، وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله كيف تقول في رجل أحب قوماً ولم يلحق بهم؟ فقال

---

(١) البخاري مع الفتح ١٠/ ٥٥٧ و١٣/ ١٣١، ومسلم ٤/ ٢٠٣٢.
(٢) مسلم ٤/ ٢٠٣٢.
(٣) البخاري مع الفتح ١١/ ٥٢٣.

رسول الله ﷺ: «**المرء مع من أحب**»[(١)].

وعن العباس بن عبدالمطلب رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**ذاق طعم الإيمان من رضي بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد رسولاً**»[(٢)].

وقال ﷺ: «**ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: من كان اللهُ ورسولهُ أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار**»[(٣)].

ولا شك أن من وفَّقه الله تعالى لذلك ذاق طعم الإيمان ووجد حلاوته، فيستلذ الطاعة ويتحمل المشاق في رضى الله عز وجل ورسوله ﷺ، ولا يسلك

---

(١) البخاري مع الفتح ١٠/ ٥٥٧.
(٢) مسلم في صحيحه ١/ ٦٢.
(٣) البخاري مع الفتح ١/ ٧٢، ومسلم ١/ ٦٦ وتقدم تخريجه ص ٦٦.

إلا ما يوافق شريعة محمد ﷺ؛ لأنه رضي به رسولاً، وأحبه، ومن أحبه من قلبه صدقاً أطاعه ﷺ؛ ولهذا قال القائل:

تعصي الإلٰه وأنت تُظْهر حُبَّهُ
هذا لعمري في القياسِ بديعُ
لو كان حُبَّكَ صادقاً لأطعته
إن المحُبَّ لمن يُحبُّ مُطيعُ[1]

وعلامات محبته ﷺ تظهر في الاقتداء به ﷺ، واتباع سنته، وامتثال أوامره، واجتناب نواهيه، والتأدب بآدابه، في الشدة والرخاء، وفي العسر واليسر، ولا شك أن من أحب شيئاً آثره، وآثر موافقته، وإلا لم يكن صادقاً في حبه ويكون مدّعياً[2].

---

(١) الشفاء بتعريف حقوق المصطفى ﷺ ٢/ ٥٤٩ و ٢/ ٥٦٣.
(٢) انظر: الشفاء بتعريف حقوق المصطفى ﷺ ٢/ ٥٧١-٥٨٢.

ولا شك أن من علامات محبته: النصيحة له؛ لقوله ﷺ: «الدين النصيحة» قلنا لمن؟ قال: «لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين وعامتهم»[1]، والنصيحة لرسوله ﷺ: التصديق بنبوته، وطاعته فيما أمر به، واجتناب ما نهى عنه، ومُؤازرته، ونصرته وحمايته حياً وميتاً، وإحياء سنته والعمل بها وتعلمها، وتعليمها والذب عنها، ونشرها، والتخلق بأخلاقه الكريمة، وآدابه الجميلة[2].

٥- احترامه وتوقيره ونصرته كما قال تعالى: ﴿لِّتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ﴾[3]، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ

---

(١) مسلم ١/ ٧٤.
(٢) الشفاء بتعريف حقوق المصطفى ﷺ للقاضي عياض ٢/ ٥٨٢-٥٨٤.
(٣) سورة الفتح، الآية: ٩.

وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾[1]، ﴿ لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ ﴾[2].

وحرمة النبي ﷺ بعد موته، وتوقيره لازم كحال حياته وذلك عند ذكر حديثه، وسنته، وسماع اسمه وسيرته، وتعلم سنته، والدعوة إليها، ونصرتها[3].

٦- الصلاة عليه ﷺ قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾[4]، وقال ﷺ: « . . من صلّى عليّ صلاة صلى الله عليه بها عشر »[5]، وقال ﷺ: «لا تجعلوا بيوتكم قبوراً، ولا تجعلوا قبري عيداً

---

(١) سورة الحجرات، الآية: ١.
(٢) سورة النور، الآية: ٦٣.
(٣) الشفاء ٢/ ٥٩٥ و ٦١٢.
(٤) سورة الأحزاب، الآية: ٥٦.
(٥) أخرجه مسلم عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما ١/ ٢٨٨.

وصلوا عليّ فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم»[1]، وقال ﷺ: «البخيل من ذكرت عنده فلم يصلِّ عليّ»[2]، وقال ﷺ: «ما جلس قوم مجلساً لم يذكروا الله فيه، ولم يصلّوا على نبيهم إلا كان عليهم ترة، فإن شاء عذبهم وإن شاء غفر لهم»[3]، وقال ﷺ: «إن لله ملائكة سياحين في الأرض يبلغوني من أمتي السلام»[4]، وقال جبريل عليه السلام للنبي ﷺ: «رغم أنف عبد ـ أو بَعُد ـ ذُكِرتَ عنده فلم يصلّ عليك» فقال ﷺ: «آمين»[5]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من أحد يسلم عليَّ إلا رد الله عليّ روحي حتى أرد

(١) أبو داود ٢/ ٢١٨، وأحمد ٢/ ٣٦٧، وانظر: صحيح أبي داود ١/ ٣٨٣.
(٢) الترمذي ٥/ ٥٥١، وغيره، وانظر: صحيح الترمذي ٣/ ١٧٧.
(٣) الترمذي، وانظر: صحيح الترمذي ٣/ ١٤٠.
(٤) النسائي ٣/ ٤٣، وصححه النسائي في صحيح النسائي ١/ ٢٧٤.
(٥) ابن خزيمة ٣/ ١٩٢، وأحمد ٢/ ٢٥٤، وصححه الأرنؤوط في الأفهام.

عليه السلام»[1].

* وللصلاة على النبي ﷺ مواطن كثيرة ذكر منها الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى واحداً وأربعين موطناً منها على سبيل المثال: الصلاة عليه ﷺ عند دخول المسجد، وعند الخروج منه، وبعد إجابة المؤذن، وعند الإقامة، وعند الدعاء، وفي التشهد في الصلاة، وفي صلاة الجنازة، وفي الصباح والمساء، وفي يوم الجمعة، وعند اجتماع القوم قبل تفرقهم، وفي الخطب: كخطبتي صلاة الجمعة، وعند كتابة اسمه، وفي أثناء صلاة العيدين بين التكبيرات، وآخر دعاء القنوت، وعلى الصفا والمروة، وعند الوقوف على قبره، وعند الهم والشدائد وطلب المغفرة، وعقب الذنب إذا أراد أن

---

(١) أخرجه أبو داود ٢/ ٢١٨ برقم ٢٠٤١، وحسنه الألباني في صحيح أبي داود ١/ ٢٨٣.

يكفرعنه، وغير ذلك من المواطن التي ذكرها رحمه الله في كتابه[1].

ولو لم يرد في فضل الصلاة على النبي ﷺ إلا حديث أنس رضي الله عنه لكفى «من صلى عليَّ صلاةً واحدة صلى الله عليه عشر صلوات[2]، [كتب الله له بها عشرة حسنات][3] وحط عنه بها عشر سيئات، ورفعه بها عشر درجات»[4].

٧- وجوب التحاكم إليه والرضى بحكمه ﷺ، قال الله تعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ

---

(١) راجع كتاب جلاء الأفهام في الصلاة والسلام على خير الأنام ﷺ للإمام ابن القيم رحمه الله تعالى.

(٢) السياق يقتضي «و».

(٣) هذه الزيادة من حديث طلحة في مسند أحمد ٤/ ٢٩.

(٤) أحمد ٣/ ٢٦١، وابن حبان برقم ٢٣٩٠ (موارد)، والحاكم ١/ ٥٥١، وصححه الأرنؤوط في تحقيقه لجلاء الأفهام ص ٦٥.

وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾[1]، ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا﴾[2] ويكون التحاكم إلى سنته وشريعته بعده ﷺ.

٨- إنزاله مكانته ﷺ بلا غلو ولا تقصير فهو عبد الله ورسوله، وهو أفضل الأنبياء والمرسلين، وهو سيد الأولين والآخرين، وهو صاحب المقام المحمود والحوض المورود، ولكنه مع ذلك بشر لا يملك لنفسه ولا لغيره ضراً ولا نفعاً إلا ما شاء الله كما قال تعالى: ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ إِنِّي مَلَكٌۖ إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّۚ﴾[3]، وقال تعالى: ﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي

---

(١) سورة النساء، الآية: ٥٩.

(٢) سورة النساء، الآية: ٦٥.

(٣) سورة الأنعام، الآية: ٥٠.

نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾[1]، ﴿ قُلْ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ۞ قُلْ إِنِّى لَن يُجِيرَنِى مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴾[2]، وقد مات ﷺ كغيره من الأنبياء ولكن دينه باقٍ إلى يوم القيامة ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴾[3]، ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ۞ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ﴾[4]، وبهذا يعلم أنه لا يستحق العبادة إلا الله وحده لا شريك له ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۞ لَا شَرِيكَ لَهُۥ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾[5].

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٨٨.

(٢) سورة الجن، الآيتان: ٢١، ٢٢.

(٣) سورة الزمر، الآية: ٣٠.

(٤) سورة الأنبياء، الآيتان: ٣٤، ٣٥.

(٥) سورة الأنعام، الآيتان: ١٦٢، ١٦٣.

المبحث الخامس: عموم رسالته ﷺ وختمها لجميع النبوات

إنّ أصل الأصول هو تحقيق الإيمان بما جاء به محمد ﷺ، وأنه رسول الله إلى جميع الخلق: إنسهم وجنّهم، عربهم وعجمهم، كتابيِّهم ومجوسيِّهم، رئيسهم ومرؤوسهم، وأنه لا طريق إلى الله عز وجل لأحد من الخلق إلا بمتابعته ﷺ باطناً وظاهراً، حتى لو أدركه موسى وعيسى، وغيرهم من الأنبياء، عليهم الصلاة والسلام؛ لوجب عليهم اتباعه، كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ۝ فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾[1].

(١) سورة آل عمران، الآيتان: ٨١، ٨٢.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: «ما بعث الله نبياً إلا أخذ عليه الميثاق: لئن بعث محمد وهو حيٌّ ليؤمنن به ولينصرنه، وأمره أن يأخذ على أمته الميثاق لئن بعث محمد وهم أحياء ليؤمنن به، ولينصرنه»[(١)]، لهذا جاء في الحديث: «**لو كان موسى حيًّا بين أظهركم ما حلّ له إلا أن يتبعني**»[(٢)].

ومن خالف عموم رسالة النبي ﷺ لا يخلو من أحد أمرين:

(١) انظر: الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان لابن تيمية ص ٧٧، ١٩١--٢٠٠، وفتاوى ابن تيمية ١٩/ ٩-٦٥، بعنوان: إيضاح الدلالة في عموم الرسالة للثقلين، والجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ١/ ٣١-١٧٦، وتفسير ابن كثير ١/ ٣٧٨، وأضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ٢/ ٣٣٤، ومعالم الدعوة للديلمي ١/ ٤٥٤-٤٥٦، والمناظرة بين الإسلام والنصرانية ص ٣٠٣-٣٠٩.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٣/ ٣٣٨، وله شواهد وطرق كثيرة ذكرها الهيثمي في مجمع الزوائد، ١/ ١٧٣-١٧٤، وانظر: مشكاة المصابيح بتحقيق الألباني، ١/ ٦٣، ٦٨.

١ - إما أن يكون المخالِفُ مؤمناً بأنه مرسل من عند الله؛ ولكنه يقول رسالته خاصة بالعرب.

٢- وإما أن يكون المخالف منكراً للرسالة جملةً وتفصيلاً.

* فأما المعترف له بالرسالة؛ ولكنه يجعلها خاصة بالعرب فإنه يلزمه أن يصدقه في كل ما جاء به عن الله تعالى، ومن ذلك عموم رسالته، ونسخها للشرائع قبلها، فقد بيّن ﷺ أنه رسول الله إلى الناس أجمعين، وأرسل رسله، وبعث كتبه في أقطار الأرض إلى كسرى، وقيصر، والنجاشي، وسائر ملوك الأرض يدعوهم إلى الإسلام، ثم قاتل من لم يدخل في الإسلام من المشركين، وقاتل أهل الكتاب، وسبى ذراريهم، وضرب الجزية عليهم، وذلك كلّه بعد امتناعهم عن الدخول في الإسلام، أما

كونه يؤمن برسول ولا يصدّقه في جميع ما جاء به فهذا تناقض ومكابرة.

* وأما المنكر لرسالة نبينا محمد ﷺ مطلقاً، فقد قام البرهان القاطع على صدق صاحب الرسالة ﷺ، ولا تزال معجزات القرآن تتحدى الإنس والجنّ، فإمَّا أن يأتي بما يُناقض المعجزة القائمة وإلا لزمه الاعتراف بمدلولها، فإن اعترف بالرسالة لزمه التّصديق بكل ما أخبر به الرسول ﷺ، وإن ذهب يُكابر ويُعاند ليأتي بقرآن مثل ما جاء به محمد ﷺ وقع في العجز وفضح نفسه لا محالة؛ لأن أصحاب الفصاحة والبلاغة قد عجزوا عن ذلك، ولا شك أن غيرهم أعجز عن هذا؛ لأن القران معجزة قائمة مستمرة خالدة[1].

---

(١) انظر: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ١/ ١٤٤، ١٦٦، ومناهج=

وحينئذ يلزم جميع الخلق العمل بما فيه والتحاكم إليه.

وقد صرح القرآن الكريم بأن محمداً ﷺ رسول إلى جميع الناس، وخاتم النبيين، قال تعالى: ﴿ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَـٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَـٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾[2]، ﴿ وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ﴾[3].

= الجدل في القرآن الكريم ص ٣٠٣، والإرشاد إلى صحيح الاعتقاد للدكتور/ صالح بن فوزان ٢/ ١٨٢.

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٥٨.

(٢) سورة الفرقان، الآية: ١.

(٣) سورة الأنعام، الآية: ١٩.

وهذا تصريح بعموم رسالته لكل من بلغه القرآن.

وصرح تعالى بشمول رسالة النبي ﷺ لأهل الكتاب، فقال: ﴿وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسْلَمْتُمْ ۚ فَإِنْ أَسْلَمُوا۟ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَـٰغُ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ (1)، ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَـٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ﴾ (2) ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ﴾ (3)، ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (4).

وبلغ ﷺ الناس جميعاً أنه خاتم الأنبياء، وأن رسالته عامّة، قال ﷺ: «**أعطيت خمساً لم يُعْطَهُنّ**

---

(1) سورة آل عمران، الآية: ٢٠.

(2) سورة الأحزاب، الآية: ٤٠.

(3) سورة الأنبياء، الآية: ١٠٧.

(4) سورة سبأ، الآية: ٢٨.

أحد من الأنبياء قبلي»، وذكر منها: «وكان النبي يُبعث إلى قومه خاصّة، وبُعثت إلى الناس كافةً»... الحديث[1].

وقال ﷺ: «مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بني بيتاً فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية، فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له، ويقولون: هلاَّ وُضِعت هذه اللبنة؟» قال: «فأنا اللَّبِنةُ، وأنا خاتم النبيين»[2].

وعموم رسالته ﷺ لجميع الإنس والجنّ في كل زمان ومكان من بعثته إلى يوم القيامة، وكونها خاتمة الرسالات، يقضي ويدلّ دلالة قاطعة على

---

(١) البخاري مع الفتح، كتاب الصلاة، باب قول النبي ﷺ: جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً ١/ ٥٣٣، ومسلم، كتاب المساجد، ١/ ٣٧٠، رقم ٥٢١.

(٢) البخاري مع الفتح، كتاب المناقب، باب خاتم النبيين ٦/ ٥٥٨، ومسلم، كتاب الفضائل، باب ذكر كونه ﷺ خاتم النبيين ٤/ ١٧٩٠.

أن النبوة قد انقطعت بانقطاع الوحي بعده، وأنه لا مصدر للتشريع والتعبد إلا كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ، وهذا يقتضي وجوب الإيمان بعموم رسالته، واتباع ما جاء به، فقد قال ﷺ: **«والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمّة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أُرسلت به إلا كان من أصحاب النار»**[1]. وبهذا تقوم الحجة وتثبت رسالة النبي ﷺ وعمومها وشمولها لجميع الثقلين: الإنس والجنّ، في كل زمان ومكان إلى قيام الساعة: ﴿قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦ وَمَنْ عَمِىَ فَعَلَيْهَا وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ﴾[2]، ﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فمن

---

(١) مسلم، كتاب الإيمان، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ إلى جميع الناس، ونسخ الملل بملته ١/ ١٣٤.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ١٠٤.

شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ . . . ﴾[1] .

المبحث السادس: تحريم الغلو فيه ﷺ

١- الغلو في الصالحين هو سبب الشرك بالله تعالى، فقد كان الناس منذ أُهبِطَ آدم ﷺ إلى الأرض على الإسلام، قال ابن عباس رضي الله عنهما: «كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على الإسلام»[2] .

وبعد ذلك تعلق الناس بالصالحين، ودب الشرك في الأرض، فبعث الله نوحاً ﷺ يدعو إلى عبادة الله وحده، وينهىٰ عن عبادة ما سواه[3] ، وردّ عليه

---

(١) سورة الكهف، الآية: ٢٩ .

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك، كتاب التاريخ، ٢/ ٥٤٦، وقال: هذا حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه ووافقه الذهبي، وذكره ابن كثير في البداية والنهاية ١/ ١٠١، وعزاه إلى البخاري، وانظر: فتح الباري ٦/ ٣٧٢ .

(٣) انظر: البداية والنهاية لابن كثير ١/ ١٠٦ .

قومه: ﴿وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾[1].

وهذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصاباً، وسموها بأسمائهم، ففعلوا، ولم تُعبد حتى إذا هلك أولئك ونُسِيَ العلم عُبِدت»[2].

وهذا سببه الغلو في الصالحين؛ فإن الشيطان يدعو إلى الغلو في الصالحين وإلى عبادة القبور، ويُلقي في قلوب الناس أن البناء والعكوف عليها من محبة أهلها من الأنبياء والصالحين، وأن الدعاء عندها مستجاب، ثم ينقلهم من هذه المرتبة إلى

---

(١) سورة نوح، الآية: ٢٣.

(٢) البخاري مع الفتح، كتاب التفسير، سورة نوح، ٨/ ٦٦٧، برقم ٤٩٢٠.

الدعاء بها والإقسام على الله بها، وشأن الله أعظم من أن يُسأل بأحد من خلقه، فإذا تقرر ذلك عندهم نقلهم إلى دعاء صاحب القبر وعبادته وسؤاله الشفاعة من دون الله، واتخاذ قبره وثناً تعلق عليه الستور، ويطاف به، ويستلم ويقبل، ويذبح عنده، ثم ينقلهم من ذلك إلى مرتبة رابعة: وهي دعاء الناس إلى عبادته واتخاذه عيداً، ثم ينقلهم إلى أن من نهى عن ذلك فقد تَنَقَّصَ أهل هذه الرتب العالية من الأنبياء والصالحين، وعند ذلك يغضبون[1].

ولهذا حذّر الله عباده من الغلو في الدين، والإفراط بالتعظيم بالقول أو الفعل أو الاعتقاد، ورفع المخلوق عن منزلته التي أنزله الله تعالى، كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ

(١) انظر: تفسير الطبري ٢٩/ ٦٢، وفتح المجيد شرح كتاب التوحيد ص ٢٤٦.

وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ﴾(١)؛ ولهذا حذّر رسول الله عن الإطراء فقال: **«لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، فإنما أنا عبده، فقولوا: عبد الله ورسوله»**(٢)، وقال: **«إياكم والغلو في الدين، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين»**(٣).

٢- وحذَّر ﷺ عن اتخاذ المساجد على القبور؛ لأن عبادة الله عند قبور الصالحين وسيلة إلى عبادتهم؛ ولهذا لما ذكرت أم حبيبة وأم سلمة رضي الله عنهما

---

(١) سورة النساء، الآية: ١٧١.

(٢) البخاري مع الفتح بلفظه، كتاب الأنبياء، باب قوله تعالى: ﴿واذكر في الكتاب مريم..﴾، ٦/ ٤٧٨، ١٢/ ١٤٤، وانظر شرحه في الفتح ١٢/ ١٤٩.

(٣) النسائي، كتاب مناسك الحج، باب التقاط الحصى ٥/ ٢٦٨، وابن ماجه، كتاب المناسك، باب قدر حصى الرمي ٢/ ١٠٠٨، وأحمد ١/ ٣٤٧.

لرسول الله ﷺ كنيسة في الحبشة فيها تصاوير قال: **«إن أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح فمات بنوا على قبره مسجداً وصوروا فيه تلك الصور، أولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة»**[(١)].

ومن حرص النبي ﷺ على أمته أنه عندما نزل به الموت قال: **«لَعْنَةُ الله على اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»**. قالت عائشة رضي الله عنها: يحذر ما صنعوا[(٢)].

وقال قبل أن يموت بخمس: **«ألا وإن من كان**

---

(١) البخاري مع الفتح، كتاب هل تنبش قبور مشركي الجاهلية ويتخذ مكانها مساجد ١/ ٥٢٣، ٣/ ٢٠٨، ٧/ ١٨٧، وأخرجه مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب النهي عن بناء المساجد على القبور.. ١/ ٣٧٥.

(٢) البخاري مع الفتح، كتاب الصلاة، باب حدثنا أبو اليمان ١/ ٥٣٢، ٣/ ٢٠٠، ٦/ ٤٩٤، ٧/ ١٨٦، ٨/ ١٤٠، ١٠/ ٢٧٧، ومسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب النهي عن بناء المساجد على القبور واتخاذ الصور فيها ١/ ٣٣٧.

قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، فإني أنهاكم عن ذلك»[1].

٣- وحذّر ﷺ أمته عن اتخاذ قبره وثناً يُعبد من دون الله، ومن باب أولى غيره من الخلق، فقال: **«اللهم لا تجعل قبري وثناً يُعبد، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»**[2].

ولعن ﷺ من اتخذ المساجد على القبور؛ لينفِّر عن هذا الفعل، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: **«لعن رسول الله ﷺ زائرات القبور والمتخذين**

---

(١) مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب النهي عن بناء المساجد على القبور ١/ ٣٧٧.

(٢) الموطأ للإمام مالك، كتاب قصر الصلاة في السفر، باب جامع الصلاة ١/ ١٧٢، وهو عنده مرسل، ولفظ أحمد ٢/ ٢٤٦: «اللهم لا تجعل قبري وثناً، ولعن الله قوماً اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»، وأبو نعيم في الحلية ٧/ ٣١٧، وانظر: فتح المجيد ص ١٥٠.

عليها المساجد والسرج»[1].

ولم يترك ﷺ باباً من أبواب الشرك التي تُوصِّل إليه إلا سدّه[2]، قال ﷺ: **«لا تجلسوا على القبور، ولا تصلوا إليها»**[3].

وقد بين ﷺ أن القبور ليست مواضع للصلاة، وأن من صلى عليه وسلم فستبلغه صلاته سواء كان بعيداً عن قبره أو قريباً، فلا حاجة لاتخاذ قبره

---

(١) النسائي، كتاب الجنائز، باب التغليظ في اتخاذ السرج على القبور ٤/ ٩٤، وأبو داود، كتاب الجنائز، باب في زيارة النساء القبور ٣/ ٢١٨، والترمذي، كتاب الصلاة، باب كراهية أن يتخذ على القبر مسجداً ٢/ ١٣٦، وابن ماجه في الجنائز، باب النهي عن زيارة النساء للقبور ١/ ٥٠٢، وأحمد ١/ ٢٢٩، ٢٨٧، ٣٢٤، ٢/ ٣٣٧، ٣/ ٤٤٢، ٤٤٣، والحاكم ١/ ٣٧٤، وانظر ما نقله صاحب فتح المجيد في تصحيح الحديث عن ابن تيمية ص ٢٧٦.

(٢) انظر: فتح المجيد ص ٢٨١.

(٣) مسلم، كتاب الجنائز، باب النهي عن الجلوس على القبر والصلاة عليه ٢/ ٦٦٨.

عيداً: «لا تجعلوا بيوتكم قبوراً، ولا تجعلوا قبري عيداً، وصلوا عليّ فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم»[1].

وقال ﷺ: «إن لله ملائكة سياحين يبلغوني من أمتي السلام»[2].

وإذا كان قبر النبي ﷺ أفضل قبر على وجه الأرض وقد نهى عن اتخاذه عيداً، فغيره أولى بالنهي كائناً من كان[3].

وقد كان ﷺ يطهر الأرض من وسائل الشرك، فيبعث بعض أصحابه إلى هدم القباب المشرفة على

---

(١) أبو داود، كتاب المناسك، باب زيارة القبور، ٢/ ٢١٨ بإسناد حسن، وأحمد ٢/ ٣٥٧، وانظر: صحيح سنن أبي داود ١/ ٣٨٣.

(٢) النسائي في السهو، باب السلام على النبي ﷺ ٣/ ٤٣، وأحمد ١/ ٤٥٢، وإسماعيل القاضي في فضل الصلاة على النبي ﷺ برقم ٢١، ص ٢٤، وسنده صحيح.

(٣) انظر: الدرر السنية في الأجوبة النجدية لعبدالرحمن بن قاسم ٦/ ١٦٥-١٧٤.

القبور، وطمس الصور، فعن أبي الهياج الأسدي قال: قال لي علي بن أبي طالب: ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ؟ «**أن لا تدع تمثالاً إلا طمسته، ولا قبراً مشرفاً إلا سويته**»[1].

٤- وكما سد ﷺ كل باب يوصّل إلى الشرك فقد حمى التوحيد عما يقرب منه ويخالطه من الشرك وأسبابه، فقال ﷺ: «**لا تشدوا الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: مسجدي هذا، والمسجد الحرام، والمسجد الأقصى**»[2].

فدخل في هذا النهي شدّ الرحال لزيارة القبور والمشاهد، وهو الذي فهمه الصحابة رضي الله عنهم من قول النبي ﷺ، ولهذا عندما ذهب أبو هريرة

---

(١) مسلم، كتاب الجنائز، الأمر بتسوية القبر ١/ ٦٦٦.

(٢) البخاري مع الفتح، كتاب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة ٣/ ٦٣، ومسلم بلفظه، كتاب الحج، باب سفر المرأة مع محرم إلى حج وغيره ٢/ ٩٧٦.

رضي الله عنه إلى الطور، فلقيه بصرة بن أبي بصرة الغفاري، فقال: من أين جئت؟ قال: من الطور. فقال: لو أدركتك قبل أن تخرج إليه ما خرجت إليه، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لا تعمل المطي إلا إلى ثلاثة مساجد...**»[1].

ولهذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وقد اتفق الأئمة على أنه لو نذر أن يسافر إلى قبره ﷺ أو غيره من الأنبياء والصالحين لم يكن عليه أن يوفي بنذره، بل ينهى عن ذلك»[2].

٥- أنواع زيارة القبور: زيارة القبور نوعان:

---

(١) النسائي، كتاب الجمعة، باب الساعة التي يستجاب فيها الدعاء يوم الجمعة ٣/ ١١٤، ومالك في الموطأ، كتاب الجمعة، باب الساعة التي في يوم الجمعة ١/ ١٠٩، وأحمد في المسند ٦/ ٧، ٣٩٧، وانظر: فتح المجيد ص ٢٨٩، وصحيح النسائي ١/ ٣٠٩.

(٢) انظر: فتاوى ابن تيمية ١/ ٢٣٤.

النوع الأول: زيارة شرعية يقصد بها السلام عليهم والدعاء لهم، كما يقصد الصلاة على أحدهم إذا مات صلاة الجنازة، ولتذكر الموت ـ بشرط عدم شدِّ الرِّحال ـ ولاتباع سنة النبي ﷺ.

النوع الثاني: زيارة شركية وبدعية[1]، وهذا النوع ثلاثة أنواع:

١- من يسأل الميت حاجته، وهؤلاء من جنس عُبَّاد الأصنام.

٢- من يسأل الله تعالى بالميت، كمن يقول: أتوسل إليك بنبيك، أو بحق الشيخ فلان، وهذا من البدع المحدثة في الإسلام، ولا يصل إلى الشرك الأكبر، فهو لا يُخرِجُ عن الإسلام كما يُخرِج الأول.

٣- من يظنّ أن الدعاء عند القبور مُستجاب،

(١) انظر: فتاوى ابن تيمية ١/ ٢٣٣، والبداية والنهاية، ١٤/ ١٢٣.

أو أنه أفضل من الدعاء في المسجد، وهذا من المنكرات بالإجماع[1].



---

(١) انظر: الدرر السنية في الأجوبة النجدية ٦/ ١٦٥-١٧٤.

الفصل الثالث: نواقض ونواقص الشهادتين

المبحث الأول: أقسام المخالفات

كل من أتى بناقض من نواقض الإسلام فقد أبطل كلمة التوحيد في حقه وصار مرتداً كافراً، ولا شك أن المخالفات لأمر الله تعالى قسمان:

القسم الأول: يوجب الردة، ويبطل الإسلام بالكلية، ويكون صاحبه كافراً كفراً أكبر، وهو من أتى بناقض من نواقض الإسلام.

القسم الثاني: لا يبطل الإسلام ولكن ينقصه ويضعفه ويكون صاحبه على خطر عظيم من غضب الله تعالى وعقابه إذا لم يتب وهو جنس المعاصي التي يعرف صاحبها أنها معاصي كالزنا ولكن لا يستحلها فهذا تحت مشيئة الله تعالى إن

شاء عذبه ثم أدخله الجنة بإيمانه وعمله الصالح وإن شاء غفر له[1].

المبحث الثاني: أخطر النواقض وأكثرها وقوعا

أما نواقض الإسلام فهي كثيرة وقد ذكر العلماء رحمهم الله تعالى في باب حكم المرتد أن المسلم قد يرتد عن دينه بأمور وأنواع كثيرة من النواقض التي تحل دمه وماله ويكون بها خارجاً من الإسلام ومن أخطرها وأكثرها وقوعاً عشرة نواقض[2]:

الأول: الشرك في عبادة الله تعالى، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ

---

(١) انظر: فتاوى سماحة العلامة ابن باز ٤/ ٢٠ و ٤٥.

(٢) ذكرها الإمام محمد بن عبدالوهاب رحمه الله تعالى وأنا أذكرها بنصها ثم أذكر بعدها بعض التوضيحات لأهل العلم. انظر هذه النواقض في مؤلفات الإمام محمد بن عبدالوهاب، القسم الأول، العقيدة والآداب الإسلامية ص ٣٨٥، ومجموعة التوحيد لشيخي الإسلام محمد بن عبدالوهاب وأحمد بن تيمية ص ٢٧، ٢٨.

لِمَن يَشَآءُ ﴾[1]، وقال سبحانه: ﴿ إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ ﴾[2]، ومنه الذبح لغير الله كمن يذبح للجن أو لقبر.

الثاني: من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم، ويسألهم الشفاعة، ويتوكل عليهم، فقد كفر إجماعاً.

الثالث: من لم يكفِّر المشركين أو شك في كفرهم أو صحح مذهبهم كفر.

الرابع: من اعتقد أن هدى غير النبي ﷺ أكمل من هديه أو أن حكم غيره أحسن من حكمه، كالذين يفضلون حكم الطواغيت على حكمه فهو كافر.

---

(١) سورة النساء، الآية: ١١٦.

(٢) سورة المائدة: الآية: ٧٢.

الخامس: من أبغض شيئاً مما جاء به الرسول ﷺ ولو عمل به كفر إجماعاً ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾[1].

السادس: من استهزأ بشيء من دين الرسول ﷺ أو ثوابه، أو عقابه، كفر. والدليل قوله تعالى: ﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ۝ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾[2].

السابع: السحر ومنه الصرف[3] والعطف[4]، فمن فعله أو رضي به كفر، والدليل قوله تعالى: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا

---

(١) سورة محمد، الآية: ٩.

(٢) سورة التوبة، الآيتان: ٦٥، ٦٦.

(٣) الصرف: عمل سحري يقصد منه تغيير الإنسان وصرفه عما يهواه كصرف الرجل عن محبة زوجته إلى بغضها.

(٤) العطف: عمل سحري يقصد منه ترغيب الإنسان فيما لا يهواه فيحبه بطرق شيطانية.

تَكۡفُرۡۖ﴾[1] .

الثامن: مظاهرة[2] المشركين ومعاونتهم على المسلمين والدليل قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[3] .

التاسع: من اعتقد أن بعض الناس يسعه الخروج عن شريعة محمد ﷺ كما وسع الخضر الخروج عن شريعة موسى عليه السلام فهو كافر .

العاشر: الإعراض عن دين الله لا يتعلمه ولا يعمل به والدليل قوله تعالى: ﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعۡرَضَ عَنۡهَآۚ إِنَّا مِنَ ٱلۡمُجۡرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾[4] ، ولا فرق في جميع هذه النواقض بين الهازل، والجاد،

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٠٢ .

(٢) المظاهرة: المناصرة والتعاون معهم على المسلمين .

(٣) سورة المائدة، الآية: ٥١ .

(٤) سورة السجدة، الآية: ٢٢ .

والخائف، إلا المكره، وكلها أعظم ما يكون خطراً وأكثر ما يكون وقوعاً، فينبغي للمسلم أن يحذرها، ويخاف منها على نفسه. نعوذ بالله من موجبات غضبه وأليم عاقبته[1].

المبحث الثالث: تفصيل الناقض الأول والرابع وأنواع النفاق والبدع

١- تفصيل الناقض الأول من هذه النواقض:

«**الشرك**»: قيل: أشرك بالله: جعل له شريكاً: في ملكه، أو عبادته، فالشرك أن تجعل لله نداً وهو خلقك، وهو أكبر الكبائر، والماحق للأعمال، والمبطل لها، والحارم المانع من ثوابها: فكل من عدل

(١) مجموعة التوحيد لشيخي الإسلام: محمد بن عبدالوهاب والشيخ أحمد بن تيمية رحمهما الله ص ٢٧، ٢٨، ومؤلفات الشيخ محمد بن عبدالوهاب، القسم الأول، العقيدة والآداب الإسلامية ص ٣٨٥، ٣٨٧، ومجموعة فتاوى ابن باز ١/ ١٣٥.

بالله غيره: بالحب، أو العبادة، أو التعظيم، أو اتبع خطواته ومبادئه المخالفة لملة إبراهيم فهو مشرك[1].

والشرك ثلاثة أنواع:

النوع الأول: شرك أكبر يخرج من الملة؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾[2]، وهو أربعة أنواع:

١ - شرك الدعوة: لقوله تعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾[3].

---

(١) انظر: قضية التكفير للمؤلف ص ٩.

(٢) سورة النساء، الآية: ١١٦.

(٣) سورة العنكبوت، الآية: ٦٥.

٢- شرك النية والإرادة والقصد: لقوله تعالى: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ۞ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي ٱلْأٓخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾[1].

٣- شرك الطاعة: وهي طاعة الأحبار والرهبان وغيرهم في معصية الله تعالى قال سبحانه: ﴿ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾[2].

٤- شرك المحبة: لقوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ

---

(١) سورة هود، الآيتان: ١٥، ١٦.

(٢) سورة التوبة، الآية: ٣١.

مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾[1].

النوع الثاني من أنواع الشرك: **شرك أصغر لا** يخرج من الملة ومنه يسير الرياء قال تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًا﴾[2]، ومنه الحلف بغير الله؛ لقوله ﷺ: «**من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك**»[3]، ومنه قول الرجل: لولا الله وأنت، أو ما شاء الله؛ وشئت.

النوع الثالث من أنواع الشرك: **شرك خفي**: «**الشرك في هذه الأمة أخفى من دبيب النملة السوداء على صفاة سوداء في ظلمة الليل**»[4]، وكفارته هي أن

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٦٥.

(٢) سورة الكهف، الآية: ١١٠.

(٣) رواه الترمذي عن ابن عمر ٤/ ١١٠.

(٤) أخرجه الحكيم الترمذي، انظر: صحيح الجامع ٣/ ٢٣٣، وتخريج الطحاوية للأرنؤوط ص ٨٣.

يقول العبد: «**اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك شيئًا وأنا أعلم، وأستغفرك من الذنب الذي لا أعلم**»[(١)].

قال ابن كثير في تفسيره: قال ابن عباس في قوله تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[(٢)]، قال: الأنداد هو الشرك أخفى من دبيب النمل على صفاة سوداء في ظلمة الليل وهو أن يقول: واللهِ وحياتِك يا فلان، وحياتي، ويقول: لولا كليبت هذا لأتانا اللصوص، ولولا البط في الدار لأتى اللصوص وقول الرجل لصاحبه: ما شاء الله وشئت وقول الرجل: لولا الله وفلان[(٣)].

أما الحديث الذي تقدم ذكره في الاستدلال

---

(١) أخرجه الحكيم الترمذي، وانظر: صحيح الجامع ٣/ ٢٣٣، ومجموعة التوحيد لمحمد بن عبدالوهاب، وابن تيمية ص٦.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٢.

(٣) تيسير العلي القدير لاختصار تفسير ابن كثير ١/ ٣٢.

للنوع الثاني من أنواع الشرك، وهو قوله ﷺ: «**من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك**»[1]، قال الترمذي: فُسِّرَ عند بعض أهل العلم أن قوله: فقد كفر أو أشرك على التغليظ والحجة في ذلك حديث ابن عمر أن النبي ﷺ: سمع عمر يقول: وأبي وأبي، فقال ﷺ: «**ألا إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم**»[2].

وحديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**من قال في حلفه باللات والعزى فليقل لا إلـٰه إلاّ الله**»[3].

*** ولعل الشرك الخفي يدخل في الشرك الأصغر فيكون الشرك شركان: شرك أكبر وشرك أصغر،**

---

(١) رواه الترمذي عن ابن عمر ٤/ ١١٠، وقال حديث حسن وانظر: صحيح الترمذي ٢/ ٩٩.

(٢) رواه الترمذي عن ابن عمر ٤/ ١١٠، وانظر: صحيح الترمذي ٢/ ٩٩.

(٣) رواه الترمذي عن أبي هريرة ٤/ ١١٠، وانظر: صحيح الترمذي ٢/ ٩٩.

وهذا الذي أشار إليه ابن القيم رحمه الله[1].

٢- تفصيل الناقض الرابع: ويدخل في القسم الرابع من نواقض الإسلام: من اعتقد أن الأنظمة والقوانين التي يسنها الناس أفضل من شريعة الإسلام، أو أنها مساوية لها، أو أنه يجوز التحاكم إليها ولو اعتقد أن الحكم بالشريعة أفضل، أو أن نظام الإسلام لا يصلح تطبيقه في القرن العشرين، أو أنه كان سبباً في تخلف المسلمين، أو أنه يحصر في علاقة المرء بربه دون أن يتدخل في شؤون الحياة الأخرى، ويدخل فيه أيضاً من يرى أن إنفاذ حكم الله في قطع يد السارق أو رجم الزاني المحصن لا يناسب العصر الحاضر، ويدخل في ذلك أيضاً كل من اعتقد أنه يجوز الحكم بغير شريعة الله في

(١) انظر: الجواب الكافي لابن القيم ص ٢٣٣.

المعاملات أو الحدود أو غيرهما وإن لم يعتقد أن ذلك أفضل من حكم الشريعة؛ لأنه بذلك يكون قد استباح ما حرم الله إجماعاً وكل من استباح ما حرم الله مما هو معلوم من الدين بالضرورة كالزنا والخمر والربا والحكم بغير شريعة الله فهو كافر بإجماع المسلمين. نعوذ بالله من موجبات غضبه وأليم عقابه[1].

والخلاصة أن الحكم بغير ما أنزل الله فيه تفصيل وإليك الصواب في ذلك إن شاء الله تعالى:

قال تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾[3]، وقال

(١) انظر: مجموع فتاوى ومقالات متنوعة للعلامة ابن باز ١/ ١٣٧.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٤٤.

(٣) سورة لمائدة، الآية: ٤٥.

سبحانه: ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾[1]، قال طاووس وعطاء: كفر دون كفر، وظلم دون ظلم، وفسق دون فسق[2] والصواب أن من حكم بغير ما أنزل الله قد يكون مرتداً، وقد يكون مسلماً عاصياً مرتكباً لكبيرة من كبائر الذنوب؛ فلهذا نجد أن أهل العلم قد قسموا الكلمات التالية إلى قسمين، وهي كلمة: كافر، وفاسق، وظالم، ومنافق، ومشرك. فكفر دون كفر، وظلم دون ظلم، وفسوق دون فسوق، ونفاق دون نفاق، وشرك دون شرك.

فالأكبر يخرج من الملة لمنافاته أصل الدين بالكلية. والأصغر ينقص الإيمان وينافي كماله، ولا يخرج صاحبه من الملة. ولهذا فصَّل العلماءُ

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٤٧.

(٢) تفسير العلي القدير لاختصار ابن كثير ٢/ ٥٥.

القول في حكم من حكم بغير ما أنزل الله .

قال سماحة الإمام الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله ابن باز حفظه الله تعالى من حكم بغير ما أنزل الله فلا يخرج عن أربعة أنواع :

١- من قال أنا أحكم بهذا لأنه أفضل من الشريعة الإسلامية فهو كافر كفراً أكبر .

٢- ومن قال أنا أحكم بهذا لأنه مثل الشريعة الإسلامية، فالحكم بهذا جائز وبالشريعة جائز، فهو كافر كفراً أكبر .

٣- ومن قال أنا أحكم بهذا، والحكم بالشريعة الإسلامية أفضل لكن الحكم بغير ما أنزل الله جائز . فهو كافر كفراً أكبر .

٤- ومن قال أنا أحكم بهذا وهو يعتقد أن الحكم بغير ما أنزل الله لا يجوز ويقول الحكم بالشريعة الإسلامية أفضل ولا يجوز الحكم بغيرها ولكنه متساهل أو يفعل هذا لأمر صادر من حُكَّامه فهو كافر كفراً أصغر لا يخرج من الملة ويعتبر من أكبر الكبائر[1]. ولا منافاة بين تسمية العمل فسقاً، أو عامله فاسقاً، وبين تسميته مسلماً وجريان أحكام المسلمين عليه؛ لأنه ليس كل فسق يكون كفراً، ولا كلما يسمى كفراً، وظلماً، يكون مخرجاً من الملة حتى ينظر إلى لوازمه وملزوماته وذلك لأنَّ كلاً من الكفر، والظلم، والفسوق، والنفاق جاءت في النصوص على قسمين:

---

(١) حدثنا بهذا الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز وهو مسجل في شريط في مكتبتي الخاصة، وانظر: فتاوى سماحته ١/ ١٣٧.

أ- أكبر يخرج من الملة لمنافاته أصل الدين بالكلية.

ب- أصغر ينقص الإيمان وينافي كماله، ولا يخرج صاحبه منه. فكفر دون كفر، وظلم دون ظلم، وفسوق دون فسوق، ونفاق دون نفاق. والفاسق بالمعاصي التي لا توجب الكفر لا يخلد في النار، بل أمره مردود إلى الله تعالى، إن شاء عفا عنه وأدخله الجنة من أول وهلة برحمته وفضله وإن شاء عاقبه بقدر الذنب الذي مات مصراً عليه ولا يخلده في النار، بل يخرجه برحمته ثم بشفاعة الشافعين إن كان مات على الإيمان[1].

٣- **أنواع النفاق**: ويدخل في نواقض لا إلـٰه إلاّ الله جميع أنواع النفاق الاعتقادي: **وهو نوعان**:

---

(١) معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم أصول التوحيد ٢/ ٤٢٣.

(أ) نفاق اعتقادي وهو ستة أنواع:

١ - تكذيب الرسول ﷺ .

٢ - أو تكذيب بعض ما جاء به الرسول ﷺ .

٣ - أو بغض الرسول ﷺ .

٤ - أو بغض ما جاء به الرسول ﷺ .

٥ - أو المسرة بانخفاض دين الرسول ﷺ .

٦ - أو الكراهية لانتصار دين الرسول ﷺ .

فهذه الأنواع الستة صاحبها من أهل الدرك الأسفل من النار .

(ب) النوع الثاني النفاق العملي وهو خمسة أنواع:

١ - إذا حدث كذب .   ٢ - وإذا وعد أخلف .

٣ - وإذا ائتُمن خان .   ٤ - وإذا خاصم فجر .

٥ - وإذا عاهد غدر[1] .

---

(١) مجموعة التوحيد لشيخي الإسلام أحمد بن تيمية ومحمد بن عبدالوهاب ص ٧ .

وهذا النفاق لا يخرج من الملة فهو (نفاق دون نفاق)؛ لحديث عبدالله بن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: **«أربع من كنَّ فيه كان منافقاً خالصاً ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا وعد أخلف، وإذا خاصم فجر»**[1]؛ ولحديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«آية المنافق ثلاث: إذا حدَّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا ائتُمن خان»**[2].

٤- لأمور المبتدعة عند القبور أنواع:

النوع الأول: من يسأل الميت حاجته. وهؤلاء من جنس عباد الأصنام وقد قال تعالى: ﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟

(١) البخاري مع الفتح ١/ ٨٩ ومسلم ١/ ٧٨.
(٢) البخاري مع الفتح ١/ ٨٩ ومسلم ١/ ٧٨.

ﭐلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمۡلِكُونَ كَشۡفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمۡ وَلَا تَحۡوِيلًا ۞ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ﴾[1] الآية. فكل من دعا نبياً، أو ولياً، أو صالحاً وجعل فيه نوعاً من الإلٰهية فقد تناولته هذه الآية، فإنها عامة في كل من دعا من دون الله مدعواً وذلك المدعو يبتغي إلى الله الوسيلة، ويرجو رحمته، ويخاف عذابه، فكل من دعا ميتاً، أو غائباً من الأنبياء، والصالحين سواء كان بلفظ الاستغاثة، أو غيرها فقد فعل الشرك الأكبر الذي لا يغفره الله إلا بالتوبة منه. فكل من غلا في نبي، أو رجل صالح، وجعل فيه نوعاً من العبادة مثل أن يقول: يا سيدي فلان انصرني، أو أعني، أو أغثني، أو ارزقني، أو أنا في حسبك،

---

(١) سورة الإسراء، الآيتان: ٥٦، ٥٧.

ونحو هذه الأقوال فكل هذا شرك وضلال يستتاب صاحبه فإن تاب وإلا قتل فإن الله إنما أرسل الرسل وأنزل الكتب ليُعبد وحده، ولا يجعل معه إلٰه آخر.

النوع الثاني: أن يسأل الله تعالى بالميت. وهو من البدع المحدثة في الإسلام وهذا ليس كالذي قبله فإنه لا يصل إلى الشرك الأكبر. والعامة الذين يتوسلون في أدعيتهم بالأنبياء والصالحين كقول أحدهم: أتوسل إليك بنبيك، أو بأنبيائك، أو بملائكتك، أو بالصالحين من عبادك، أو بحق الشيخ فلان، أو بحرمته، أو أتوسل إليك باللوح والقلم، وغير ذلك مما يقولونه في أدعيتهم، وهذه الأمور من البدع المحدثة المنكرة والذي جاءت به السنة هو التوسل والتوجه بأسمائه، وصفاته،

وبالأعمال الصالحة كما ثبت في الصحيحين في قصة الثلاثة (أصحاب الغار)، وبدعاء المسلم الحي الحاضر له.

النوع الثالث: أن يظن أن الدعاء عند القبور مستجاب، أو أنه أفضل من الدعاء في المسجد فيقصد القبر لذلك فإن هذا من المنكرات إجماعاً ولم نعلم في ذلك نزاعاً بين أئمة الدين.. وهذا أمر لم يشرعه الله، ولا رسوله، ولا فعله أحد من الصحابة، ولا التابعين ولا أئمة المسلمين.. وأصحاب رسول الله ﷺ قد أجدبوا مرات ودهمتهم نوائب ولم يجيؤا عند قبر النبي ﷺ بل خرج عمر بالعباس فاستسقى بدعائه وقد كان السلف ينهون عن الدعاء عند القبور فقد رأى علي بن الحسين رجلاً يجيء إلى فرجة كانت عند قبر النبي ﷺ فيدخل فيدعو فيها

فقال: ألا أحدثكم حديثاً سمعته من أبي عن جدي عن رسول الله ﷺ قال: «**لا تجعلوا قبري عيداً ولا تجعلوا بيوتكم قبوراً وصلوا عليَّ وسلموا حيثما كنتم فسيبلغني سلامكم وصلاتكم**»[1] ووجه الدلالة أن قبر النبي ﷺ أفضل قبر على وجه الأرض وقد نهى عن اتخاذه عيداً فغيره أولى بالنهي كائنا ما كان[2] وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تجعلوا بيوتكم قبوراً ولا تجعلوا قبري عيداً وصلوا عليَّ فإنّ صلاتكم تبلغني حيثما كنتم**»[3].

---

(١) رواه إسماعيل القاضي في كتاب فضل الصلاة على النبي ﷺ ص ٣٤ وصححه الألباني في نفس المرجع وله طرق وروايات ذكرها في كتابه تحذير الساجد من إتخاذ القبور مساجد ص ١٤٠.

(٢) الدرر السنية في الأجوبة النجدية لعبدالرحمن بن قاسم ج٦/ ١٦٥-١٧٤.

(٣) رواه أبو داود ٢/ ٢١٨، وأحمد ٢/ ٣٦٧، وحسنه الشيخ الألباني في كتابه تحذير الساجد ص ١٤٢.

المبحث الرابع: أصول نواقض الشهادتين

جميع نواقض الإسلام تدخل تحت نواقض أربعة: بالقول، أو الفعل، أو الاعتقاد، أو الشك والتوقف. وإلى التفصيل بإيجاز واختصار:

قال سماحة العلامة إمام علماء عصره عبدالعزيز ابن عبدالله بن باز حفظه الله ورفع درجاته: العقيدة الإسلامية لها قوادح وهذه القوادح قسمان: قسم ينقض هذه العقيدة ويبطلها ويكون صاحبه كافراً نعوذ بالله [من ذلك]، وقسم ينقص هذه العقيدة ويضعفها:

فالقسم الأول: يسمى ناقضاً ونواقض الإسلام هي الموجبة للردة، والناقض يكون: قولاً، ويكون عملاً، ويكون اعتقاداً، ويكون شكاً. قال النبي ﷺ: «**من بدل دينه فاقتلوه**» خرجه البخاري في

الصحيح[1]، فدّل ذلك على أن المرتد يستتاب فإن تاب وإلا قتل ويُعجَّل به إلى النار.

١- **الردة القولية:** والقول من هذه النواقض مثل سب الله، وسب الرسول ﷺ، أو ينسب العيب إلى الله كأن يقول: إن الله فقير أو إنّ الله ظالم، أو يقول: إنّ الله بخيل، أو يقول: إنّ الله لا يعلم بعض الأمور أو قال: إنّ الله لم يوجب علينا الصلاة فهذه ردة يستتاب صاحبها فإن تاب وإلا قتل.

٢- **الردة الفعلية:** مثل ترك الصلاة فمن ترك الصلاة ولم يصل فقد كفر لقول النبي ﷺ: «**العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر**»[2].

---

(١) البخاري مع الفتح ١٣/ ٣٣٩.

(٢) سنن الترمذي ٥/ ١٤ عن عبدالله بن بريدة عن أبيه وهو حديث صحيح. وانظر: صحيح الترمذي ٢/ ٣٢٩.

وقوله ﷺ: «**بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة**»[1] ومن ذلك لو استهان بالمصحف، أو داسه، ومن ذلك من طاف بالقبور، وعبادة أهلها، فهذه ردة فعلية إلا إذا قصد بذلك عبادة الله فهذه بدعة قادحة في الدين ولا تكون ردة عن الإسلام بل تكون من النوع الثاني (كفر دون كفر) وكذلك الذبح لغير الله من الردة الفعلية.

٣- **الردة العقدية**: من اعتقد بقلبه أن الله فقير أو أنه بخيل أو أنه ظالم فقد كفر ولو لم يتكلم. أو اعتقد بقلبه أن محمداً كاذب، أو أحد الأنبياء، أو اعتقد بقلبه أنه لا بأس أن يعبد مع الله غيره، فهذه كلها ردة عن الإسلام لأن الله يقول: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ

(١) مسلم ١/ ٨٨.

ٱلْبَـٰطِلُ ﴾[1]، ويقول سبحانه: ﴿ وَإِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَـٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴾[2]، ويقول سبحانه: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾[3]، فمن زعم أنه يجوز أن يعبد مع الله غيره ونطق بذلك صار كافراً بالقول والعقيدة جميعاً، وإن فعل ذلك صار كافراً بالقول والعمل والعقيدة جميعاً.

ومن القوادح القولية، والفعلية، والعقدية، ما يفعله بعض الناس اليوم عند قبور الصالحين من دعائهم، والاستغاثة بهم.. فمن فعل شيئاً من ذلك يستتاب فإذا رجع إلى الحق خلي سبيله وإن لم يتب فإنه يقتل ويكون مرتداً.

٤- **الردة بالشك:** مثل من يقول: أنا لا أدري

---

(١) سورة الحج، الآية: ٦٢.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٦٣.

(٣) سورة الفاتحة، الآية: ٥.

هل الله حق أو ليس بحق، أو يقول: أنا لا أدري هل محمد صادق، أو كاذب؟ فهذا كافر أو قال: أنا لا أدري هل البعث حق؟ أو غير حق.. فهذا يكون كافراً يستتاب فإن تاب، وإلا قتل.. أما إذا كان بعيداً عن المسلمين بحيث كان في غابات بعيدة عن المسلمين فإنه يبين له فإذا بُيِّن له وأصر فإنه يقتل. وكذلك من شك في شيء من أركان الإسلام.. فما تقدم من القسم الأول يسمى نواقض ويكون صاحبها مرتداً يستتاب فإن تاب وإلا قتل.

أما الوسوسة العارضة والخطرات، فإنها لا تضر إذا دفعها المؤمن ولم يسكن إليها ولم تستقر في قلبه؛ لقوله ﷺ: «**إن الله تجاوز لأمتي ما حدثت به أنفسها ما لم يتكلموا أو يعملوا به**»[١].

---

(١) مسلم ١/١٦.

وعليه أن يعمل الآتي :

١- يستعيذ بالله من الشيطان .[1]

٢- ينتهي عما يدور في نفسه .[2]

٣- يقول آمنت بالله ورسله .[3]

والقسم الثاني من القوادح: قوادح دون كفر تضعف الإيمان مثل أكل الربا، وارتكاب المحرمات كالزنا، والبدع، وغير ذلك مثل الاحتفال بالمولد وهو ما أحدثه الناس في القرن الرابع وما بعده من الاحتفال بمولد الرسول ﷺ، فيكون ذلك إضعافاً للعقيدة، إلا إذا كان هناك في المولد استغاثة بالرسول ﷺ فإن هذه البدعة تكون من النوع الأول المخرج عن الإسلام. ومن النوع الثاني كذلك التطيّر كما

---

(١) البخاري مع الفتح ٦/ ٣٣٦، ومسلم ١/ ١٢٠ .

(٢) البخاري مع الفتح ٦/ ٣٣٦، ومسلم ١/ ١٢٠ .

(٣) مسلم ١/ ١١٩-١٢٠ .

يفعل أهل الجاهلية وقد رَّد الله عليهم ﴿ قَالُوا۟ ٱطَّيَّرۡنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَۚ قَالَ طَٰٓئِرُكُمۡ عِندَ ٱللَّهِۖ بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ تُفۡتَنُونَ ﴾[1]. فالطيرة شرك دون كفر.. وكذلك الاحتفال بليلة الإسراء والمعراج، قال ﷺ: «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**»[2].

انتهى ملخصاً[3].



(١) سورة النمل، الآية: ٤٧.

(٢) البخاري مع الفتح ٥/ ٣٠١، ومسلم ٣/ ١٣٤٣.

(٣) القوادح في العقيدة للعلامة ابن اباز وهي محاضرة ألقاها في الجامع الكبير في شهر صفر عام ١٤٠٣هـ وهي مسجلة عندي بمكتبتي الخاصة.

تمهـــــيد:

الوثني: من يتدين بعبادة الوثن[1]، يقال: رجل وثَنِيٌّ، وقوم وثنيُّون، وامرأة وثنيّة، ونساء وثنيّات[2]، واسم الوثن يتناول كل معبود من

---

(١) الوثن: الصنم، والجمع وُثُنٌ وأوثان: وهو التمثال يُعبد، سواء كان من خشب، أو حجر، أو نحاس، أو فضة أو غير ذلك. وقد كان الوثنيون يزعمون أن عبادته تقربهم إلى الله تعالى، كما بين سبحانه ذلك عنهم بقوله: ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣]. انظر: القاموس المحيط، باب النون، فصل الواو، ص ١٥٩٧، وباب الميم فصل الصاد ص ١٤٦٠، والمعجم الوسيط مادة (وثن) ٢/ ١٠١٢، ومادة (صنم) ١/ ٥٢٦، والمصباح المنير، مادة (وثن) ص ٦٤٧، ٦٤٨، ومادة (صنم) ص ٣٤٩، ومختار الصحاح، مادة (وثن) ص ٢٩٥، ومادة (صنم) ص ١٥٦.

(٢) انظر: المعجم الوسيط، مادة (وثن) ٢/ ١٠١٢، والمصباح المنير، مادة (وثن) ص ٦٤٨. قال ابن الأثير: الفرق بين الوثن والصنم أن الوثن كل ما له جثة معمولة من جواهر الأرض، أو من خشب، أو من حجارة كصورةالآدمي تعمل وتنصب فتعبد. والصنم: الصورة بلا جثة، ومنهم من لم يفرق بينهما، وأطلقهما على المعنيين. انظر: =

دون الله. سواء كان ذلك المعبود قبراً، أو مشهداً، أو صورة، أو غير ذلك.[1]

وكل من دعا نبيًّا، أو وليًّا، أو ملكاً، أو جنيًّا، أو صرف له شيئاً من العبادة فقد اتخذه إلـٰهاً من دون الله[2]، وهذا هو حقيقة الشّرك الأكبر الذي قال الله تعالى فيه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا﴾[3].

= النهاية في غريب الحديث ٥/ ١٥١، ٣/ ٥٦. ثم قال: وقد يطلق الوثن على غير الصورة، ومنه حديث عدي بن حاتم قال: أتيت النبي ﷺ وفي عنقي صليب من ذهب، فقال لي: «يا عدي اطرح عنك هذا الوثن». أخرجه الترمذي في كتاب التفسير، باب سورة التوبة ٥/ ٢٧٨، برقم ٣٠٩٥، وانظر: صحيح الترمذي ٣/ ٥٦.

(١) انظر: فتح المجيد، شرح كتاب التوحيد، للشيخ عبدالرحمن بن حسن ابن محمد بن عبدالوهاب ص ٢٤٤.

(٢) انظر: فتح المجيد، شرح كتاب التوحيد، ص ٢٤٢.

(٣) سورة النساء، الآية: ٤٨.

والمشركون يُدعَون إلى الله تعالى بالحكمة القولية على حسب عقولهم وأفهامهم، ويوضح ذلك ويبينه المباحث التالية.

المبحث الأول: الحجج العقلية القطعية على إثبات ألوهية الله تعالى

من البراهين القطعية التي ينبغي تبيينها وتوضيحها لمن اتّخذ من دون الله آلهة أخرى، قوله تعالى: ﴿أَمِ ٱتَّخَذُوٓا۟ ءَالِهَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ ۝ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ۝ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾[1].

فقد أنكر سبحانه على من اتخذ من دونه آلهة من الأرض، سواء كانت أحجاراً أو خشباً، أو غير ذلك من الأوثان التي تعبد من دون الله! فهل

---

(١) سورة الأنبياء، الآيات: ٢١-٢٣.

هم يحيون الأموات ويبعثونهم؟ والجواب: كلا، لا يقدرون على شيء من ذلك، ولو كان في السَّمَـٰوات والأرض آلهة تستحق العبادة غير الله لفسدتا وفسد ما فيهما من المخلوقات؛ لأن تعدد الآلهة يقتضي التمانع والتنازع والاختلاف، فيحدث بسببه الهلاك، فلو فُرِضَ وجود إلـٰهين، وأراد أحدهما أن يخلق شيئاً والآخر لا يريد ذلك، أو أراد أن يُعطي والآخر أراد أن يمنع، أو أراد أحدهما تحريك جسم والآخر يريد تسكينه، فحينئذ يختل نظام العالم، وتفسد الحياة! وذلك:

* لأنه يستحيل وجود مرادهما معاً، وهو من أبطل الباطل؛ فإنه لو وجد مرادهما جميعاً للزم اجتماع الضدين، وأن يكون الشيء الواحد حيًّا ميتاً، متحركاً ساكناً.

* وإذا لم يحصل مراد واحد منهما لزم عجز كل منهما، وذلك يناقض الربوبية.

* وإن وُجِدَ مراد أحدهما ونفذ دون مراد الآخر، كان النافذ مراده هو الإِلـٰه القادر والآخر عاجز ضعيف مخذول.

* واتفاقهما على مراد واحد في جميع الأمور غير ممكن.

وحينئذ يتعين أن القاهر الغالب على أمره هو الذي يوجد مراده وحده غير مُمانع ولا مُدافع، ولا مُنازع ولا مُخالف ولا شريك، وهو الله الخالق الإِلـٰه الواحد، لا إِلـٰه إلا هو، ولا رب سواه؛ ولهذا ذكر سبحانه دليل التمانع في قوله عز وجل: ﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهِۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍۚ سُبْحَٰنَ

ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ۞ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [1].

واتقان العالم العلوي والسفلي، وانتظامه منذ خلقه، واتساقه، وارتباط بعضه ببعض في غاية الدقة والكمال: ﴿مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ﴾ [2]. وكل ذلك مسخر، ومدبر بالحكمة لمصالح الخلق كلهم يدل على أن مدبره واحد، وربه واحد، وإلـٰهه واحد، لا معبود غيره، ولا خالق سواه [3].

---

(١) سورة المؤمنون، الآيتان: ٩١، ٩٢.

(٢) سورة الملك، الآية: ٣.

(٣) انظر: درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية ٩/ ٣٥٢، ٣٥٤، ٣٣٧-٣٨٢، ١/ ٣٥-٣٧، وتفسير البغوي ٣/ ٢٤١، ٣١٦، وابن كثير ٣/ ٢٥٥، ١٧٦، وفتح القدير للشوكاني ٣/ ٤٠٢، ٤٩٦، وتفسير عبدالرحمن السعدي ٥/ ٢٢٠، ٣٧٤، وأيسر التفاسير لأبي بكر جابر الجزائري ٣/ ٩٩، ومناهج الجدل في القرآن الكريم للدكتور زاهر بن عواض الألمعي. ص١٥٨-١٦١.

المبحث الثاني: ضعف جميع المعبودات من دون الله من كل الوجوه

من المعلوم عند جميع العقلاء أن كل ما عُبِدَ من دون الله من الآلهة ضعيف من كل الوجوه، وعاجز ومخذول، وهذه الآلهة لا تملك لنفسها ولا لغيرها شيئاً من ضر أو نفع، أو حياة أو موت، أو إعطاء أو منع، أو خفض أو رفع، أو عزّ أو ذلّ، وأنها لا تتصف بأي صفة من الصفات التي يتصف بها الإلـه الحق، فكيف يعبد من هذه حاله؟ وكيف يُرجى أو يُخاف من هذه صفاته؟ وكيف يُسئَل من لا يسمع ولا يبصر ولا يعلم شيئاً.[1]

وقد بين الله عز وجل ضعف وعجز كل ما عبد

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير ٢/ ٨٣، ٢١٩، ٢٧٧، ٤١٧، ٣/ ٤٧، ٢١١، ٣١٠، وتفسير السعدي ٢/ ٣٢٧، ٤٢٠، ٣/ ٢٩٠، ٤٥١، ٥/ ٢٧٩، ٤٥٧، ٦/ ١٥٣، وأضواء البيان للشنقيطي ٢/ ٤٨٢، ٣/ ١٠١، ٣٢٢، ٥٩٨، ٥/ ٤٤، ٦/ ٢٦٨.

من دونه أكمل بيان، فقال سبحانه: ﴿ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾[1]، ﴿ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ۞ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ۞ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ ۚ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَٰمِتُونَ ۞ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ ۖ فَٱدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۞ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۗ قُلِ ٱدْعُوا۟ شُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ۞ إِنَّ وَلِـِّۧىَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ ۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ۞ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَآ

(١) سورة المائدة، الآية: ٧٦.

أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ۞ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُوا۟ وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾[1]، ﴿وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا﴾[2].

وهي مع هذه الصفات لا تملك كشف الضر عن عابديها ولا تحويله إلى غيرهم ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا﴾[3].

ومن المعلوم يقيناً أن ما يعبده المشركون من دون الله من: الأنبياء، أو الصالحين، أو الملائكة، أو

---

(١) سورة الأعراف، الآيات: ١٩١-١٩٨.

(٢) سورة الفرقان، الآية: ٣.

(٣) سورة الإسراء، الآية: ٥٦.

الجن الذين أسلموا، أنهم في شغل شاغل عنهم باهتمامهم بالافتقار إلى الله بالعمل الصالح، والتنافس في القُرْبِ من ربهم يرجون رحمته ويخافون عذابه، فكيف يُعبَدُ من هذا حاله؟[1] قال تعالى: ﴿أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحۡذُورٗا﴾ [2].

وقد أوضح وبيَّن سبحانه أن ما عُبِدَ من دونه قد توفرت فيهم جميع أسباب العجز وعدم إجابة الدعاء من كل وجه؛ فإنهم لا يملكون مثقال ذرة في السَّمَـٰوات ولا في الأرض لا على وجه الاستقلال، ولا على وجه الاشتراك، وليس لله من هذه

(١) انظر: تفسير ابن كثير ٣/ ٤٨، وتفسير السعدي ٤/ ٢٩١.
(٢) سورة الإسراء، الآية: ٥٧.

المعبودات من ظهير يساعده على ملكه وتدبيره، ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له[1]، قال عز وجل: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ۞ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ﴾[2]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۚ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ۞ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾[3].

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير ٣/ ٣٧، وتفسير السعدي ٦/ ٢٧٤.

(٢) سورة سبأ، الآيتان: ٢٢، ٢٣.

(٣) سورة فاطر، الآيتان: ١٣، ١٤.

المبحث الثالث: ضرب الأمثال

ضرب الأمثال من أوضح وأقوى أساليب الإيضاح والبيان في إبراز الحقائق المعقولة في صورة الأمر المحسوس، وهذا من أعظم ما يُرَدُّ به على الوثنيين في إبطال عقيدتهم وتسويتهم المخلوق بالخالق في العبادة والتعظيم؛ ولكثرة هذا النوع في القرآن الكريم سأقتصر على ثلاثة أمثلة توضح المقصود كالتالي:

١- قال الله عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ۞ مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾ [1].

---

(١) سورة الحج، الآيتان: ٧٣، ٧٤.

حق على كل عبد أن يستمع لهذا المثل، ويتدبره حق تدبره، فإنه يقطع مواد الشرك من قلبه، فالآلهة التي تُعبَد من دون الله لن تقدر على خلق الذباب ولو اجتمعوا كلهم لخلقه، فكيف بما هو أكبر منه، بل لا يقدرون على الانتصار من الذباب إذا سلبهم شيئاً مما عليهم من طيب ونحوه، فيستنقذوه منه، فلا هم قادرون على خلق الذباب الذي هو أضعف المخلوقات، ولا على الانتصار منه واسترجاع ما سلبهم إياه، فلا أعجز من هذه الآلهة الباطلة، ولا أضعف منها، فكيف يستحسن عاقل عبادتها من دون الله؟!

وهذا المثل من أبلغ ما أنزل الله تعالى في بطلان الشرك وتجهيل أهله.[1]

---

(١) انظر: أمثال القرآن لابن القيم ص ٤٧، والتفسير القيم لابن القيم ص=

٢- ومن أحسن الأمثال وأدلّها على بطلان الشرك، وخسارة صاحبه وحصوله على ضد مقصوده، قوله تعالى: ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًاۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِۖ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۞ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ﴾[1].

فهذا مثل ضربه الله لمن عبد معه غيره يقصد به التعزز والتقوي والنفع، فبين سبحانه أن هؤلاء ضعفاء، وأن الذين اتخذوهم أولياء من دون الله أضعف منهم، فهم في ضعفهم وما قصدوه من

= ٣٦٨، وتفسير البغوي ٣/ ٢٩٨، وابن كثير ٣/ ٢٣٦، وفتح القدير للشوكاني ٣/ ٤٧٠، وتفسير السعدي ٥/ ٣٢٦.

(١) سورة العنكبوت، الآيات: ٤١-٤٣.

اتخاذ الأولياء كالعنكبوت التي هي من أضعف الحيوانات، اتخذت بيتاً وهو من أضعف البيوت، فما ازدادت باتخاذه إلا ضعفاً، وكذلك من اتخذ من دون الله أولياء، فإنهم ضعفاء، وازدادوا باتخاذهم ضعفاً إلى ضعفهم.[1]

٣- ومن أبلغ الأمثال التي تُبيّن أن المشرك قد تشتت شمله واحتار في أمره، ما بيّنه تعالى بقوله: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾.[2]

فهذا مثل ضربه الله تعالى للمشرك والموحد، فالمشرك لما كان يعبد آلـهة شتى شُبِّهَ بعبد يملكه

---

(١) انظر: تفسير البغوي ٣/ ٤٦٨، وأمثال القرآن لابن القيم ص ٢١، وفتح القدير للشوكاني ٤/ ٢٠٤.

(٢) سورة الزمر، الآية: ٢٩.

جماعة متنازعون مختلفون، سيئة أخلاقهم، يتنافسون في خدمته، لا يمكنه أن يبلغ رضاهم أجمعين، فهو في عذاب.

والموحد لما كان يعبد الله وحده لا شريك له، فمثله كمثل عبد لرجل واحد، قد سلم له، وعلم مقاصده، وعرف الطريق إلى رضاه، فهو في راحة من تشاحن الخلطاء فيه واختلافهم، بل هو سالم لمالكه من غير تنازع فيه، مع رأفة مالكه به، ورحمته له، وشفقته عليه، وإحسانه إليه، وتوليه لمصالحه، فهل يستوي هذان العبدان؟ والجواب: كلاَّ، لا يستويان أبدًا.(١)

❊ ❊ ❊

---

(١) انظر: تفسير البغوي ٤/ ٧٨، وابن كثير ٤/ ٥٢، والتفسير القيم ص ٤٢٣، وفتح القدير للشوكاني ٤/ ٤٦٢، وتفسير السعدي ٦/ ٤٦٨، وتفسير الجزائري ٤/ ٤٣.

المبحث الرابع: الكمال المطلق للإله الحق المستحق للعبادة وحده

بعد أن عرفنا صفات الألهة الباطلة، وأنها لا تملك لنفسها ولا لغيرها ضراً ولا نفعاً، فهي لا تستحق العبادة، وإنما الذي يستحق العبادة وحده من يملك القدرة على كل شيءٍ، والإحاطة بكل شيءٍ، وكمال السلطان والغلبة والقهر والهيمنة على كل شيءٍ، والعلم بكل شيء، ويملك الدنيا والآخرة، والنفع والضر، والعطاء والمنع بيده وحده، فمن كان هذا شأنه فإنه حقيق بأن يُذَكَرُ فلا يُنسى، ويُشكر فلا يُكفر، ويُطاع فلا يُعصى، ولا يُشرك معه غيره.[1]

---

(١) انظر: تفسير البغوي ١/ ٢٣٧، ٣/ ٧١، ٢/ ٨٨، ٣٧٢، وابن كثير ١/ ٣٠٩، ٢/ ٥٧٢، ٣/ ٤٢، ٢/ ١٢٧، ٤٣٥، ٥٧٠، ١/ ٣٤٤، ٢/ ١٣٨، وتفسير السعدي ١/ ٣١٣، ٧/ ٦٨٦، ٢/ ٣٨١، ٣/ ٣٩٧، ٤/ ٢٠٤، ٦/ ٣٦٤، ١/ ٣٥٦، ٢/ ٣٧٢، وأضواء البيان ٢/ ١٨٧، ٣/ ٢٧١.

وصفات الكمال المطلق لله تعالى، لا يحيط بها أحد، ولكن منها على سبيل المثال:

١- **المتفرد بالألوهية**: لا يستحق الألوهية إلا الله وحده، الحي الذي لا يموت أبداً، القيوم الذي قام بنفسه واستغنى عن جميع المخلوقات، وهي مفتقرة إليه في كل شيء، ومن كمال حياته وقيوميته أنه لا تأخذه سنة ولا نوم، وجميع ما في السَّمَـٰوات والأرض عبيده، وتحت قهره وسلطانه: ﴿ إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَـٰنِ عَبْدًا ۝ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴾ [١].

ومن تمام ملكه وعظمته وكبريائه أنه لا يشفع عنده أحد إلا بإذنه، فكل الوجهاء والشفعاء عبيد له، لا يقدمون على شفاعة حتى يأذن لهم، ولا يأذن

---

(١) سورة مريم، الآيتان: ٩٣، ٩٤.

إلا لمن ارتضى، وعلمه تعالى محيط بجميع الكائنات، ولا يطلع أحد على شيء من علمه إلا ما أطلعهم عليه، ومن عظمته أن كرسيه وسع السَّمَٰوات والأرض، وأنه قد حفظهما وما فيهما من مخلوقات، ولا يثقله حفظهما، بل ذلك سهل عليه يسير لديه، وهو القاهر لكل شيء، العلي بذاته على جميع مخلوقاته، والعلي بعظمته وصفاته، العلي الذي قهر المخلوقات ودانت له الموجودات، العظيم الجامع لصفات العظمة والكبرياء، وقد دل على هذه الصفات العظيمة قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ . . . ﴾ الآية.(١)

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٥٥.

٢- وهو الإلـه الذي خضع كل شيء لسلطانه، فانقادت له المخلوقات بأسرها: جماداتها وحيواناتها، وإنسها وجنّها وملائكتها: ﴿وَلَهُۥٓ أَسۡلَمَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ طَوۡعٗا وَكَرۡهٗا وَإِلَيۡهِ يُرۡجَعُونَ﴾[1].

٣- وهو الإلـه الذي بيده النفع والضر، فلو اجتمع الخلق على أن ينفعوا مخلوقاً لم ينفعوه إلا بما كتبه الله له، ولو اجتمعوا على أن يضروه بشيء لم يضروه إذا لم يرد الله ذلك: ﴿وَإِن يَمۡسَسۡكَ ٱللَّهُ بِضُرّٖ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَۖ وَإِن يُرِدۡكَ بِخَيۡرٖ فَلَا رَآدَّ لِفَضۡلِهِۦۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾[2].

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٨٣.

(٢) سورة يونس، الآية: ١٠٧.

٤- **وهو القادر على كل شيء،** ولا يعجزه شيء: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [1].

٥- **إحاطة علمه بكل شيء،** شامل للغيوب كلها: يعلم ما كان، وما يكون، وما لم يكن لو كان كيف يكون [2]: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَىْءٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [3]، ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [4]، ﴿۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ

---

(١) سورة يسٓ، الآية: ٨٢.

(٢) انظر: تفسير ابن كثير ١/ ٣٤٤، ٢/ ١٣٨، والسعدي ٢/ ٣٥٦، ٢/ ٣٧٢.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٥.

(٤) سورة يونس، الآية: ٦١.

﴿فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡأَرۡضِ وَلَا رَطۡبٖ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ﴾[1]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ﴾[2].

ولا شك أن من عرف هذه الصفات وغيرها من صفات الكمال والعظمة، فإنه سيعبد الله وحده؛ لأنه الإلـه المستحق للعبادة.

المبحث الخامس: بيان الشفاعة المثبتة والمنفيّة

الشفاعة لغة: يُقال شفع الشيء: ضمَّ مثله إليه، فجعل الوتر شفعاً.[3]

واصطلاحاً: التوسط للغير بجلب منفعة أو

(١) سورة الأنعام، الآية: ٥٩.

(٢) سورة الأنفال، الآية: ٧٥.

(٣) انظر: القاموس المحيط، باب العين، فصل الشين ص ٩٤٧، والنهاية في غريب الحديث، ٢/ ٤٨٥، والمعجم الوسيط ١/ ٤٨٧.

دفع مضرَّةٍ.[1]

من الحكمة القولية في دعوة من يتعلّق بغير الله تعالى ويطلب الشفاعة منه أن يبين له أن الشفاعة ملك لله وحده: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًاۖ لَّهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾.[2]

ويمكن أن يرد على من طلب الشفاعة من غير الله تعالى بالأقوال الحكيمة الآتية:

أولاً: ليس المخلوق كالخالق، فكل من قال: إن الأنبياء والصالحين والملائكة أو غيرهم من المخلوقين لهم عند الله جاهٌ عظيمٌ ومقاماتٌ عاليةٌ فهم يشفعون لنا عنده كما يتقرّب إلى الوجهاء والوزراء عند الملوك والسّلاطين، ليجعلوهم وسائطَ لقضاء

---

(١) انظر: شرح لمعة الاعتقاد للشيخ محمد صالح العثيمين ص ٨٠.

(٢) سورة الزمر، الآية: ٤٤.

حاجاتهم، فهذا القول من أبطل الباطل؛ لأنه شبه الله العظيم ملك الملوك بالملوك الفقراء المحتاجين للوزراء والوجهاء في تكميل ملكهم ونفوذ قوتهم، فإن الوسائط بين الملوك وبين الناس على أحد وجوه ثلاثة:

١- إما لإخبارهم عن أحوال الناس بما لا يعرفونه.
٢- أو يكون المَلِكُ عاجزاً عن تدبير رعيته فلا بدّ له من أعوان؛ لذُلِّهِ وعجزه.
٣- أو يكون الملك لا يريد نفع رعيته والإحسان إليهم، فإذا خاطبهم من ينصحه ويعظه تحركت إرادته وهمّته في قضاء حوائج رعيته.

والله عز وجل ليس كخلقه الضعفاء، فهو تعالى لا تخفى عليه خافية، وغني عن كل ما سواه، وأرحم بعباده من الوالدة بولدها، ومعلوم أن الشافع

عند ملوك الدنيا قد يكون له ملك مستقل، وقد يكون شريكاً لهم، وقد يكون معاوناً لهم، فالملوك يقبلون شفاعته لأحد ثلاثة أمور:

أ - تارة لحاجتهم إليه.

ب- وتارة لخوفهم منه.

جـ- وتارة لجزاء إحسانه إليهم.

وشفاعة العباد بعضهم عند بعض من هذا الجنس، فلا يقبل أحد شفاعة أحد إلا لرغبة أو رهبة، والله عز وجل لا يرجو أحداً ولا يخافه، ولا يحتاج إليه[1]، ولهذا قطع الله جميع أنواع التعلّقات بغيره، وبيّن بطلانها، فقال تعالى: ﴿ قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمۡلِكُونَ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا لَهُمۡ فِيهِمَا مِن شِرۡكٖ وَمَا لَهُۥ مِنۡهُم مِّن

---

(١) انظر فتاوى ابن تيمية ١/ ١٢٦-١٢٩.

ظَهِيرٍ ۞ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾ .[1]

فقد سدّت هذه الآية على المشركين جميع الطرق التي دخلوا منها إلى الشرك أبلغ سد وأحكمه، فإن العابد إنما يتعلّق بالمعبود لما يرجو من نفعه، وحينئذ فلا بد أن يكون المعبود مالكاً للأسباب التي ينتفع بها عابده، أو يكون شريكاً لمالكها، أو ظهيراً أو وزيراً أو معاوناً له، أو وجيهاً ذا حرمة وقدر يشفع عنده، فإذا انتفت هذه الأمور الأربعة من كل وجه انتفت أسباب الشرك وانقطعت مواده[2].

ثانياً: الشفاعة شفاعتان مثبتة ومنفية:

١- **الشفاعة المثبتة**: وهي التي تطلب من الله ولها شرطان:

---

(١) سورة سبأ، الآيتان: ٢٢، ٢٣.

(٢) انظر: التفسير القيم، لابن القيم ص ٤٠٨.

الشرط الأول: إذن الله للشّافع أن يشفع؛ لقوله تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾[1].

الشرط الثاني: رضا الله عن الشّافع والمشفوع له، لقوله تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾[2]، ﴿يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا﴾[3].

٢- الشفاعة المنفية: وهي التي تطلب من غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله، والشفاعة بغير إذنه ورضاه والشفاعة للكفار: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾[4]، ويستثنى شفاعته ﷺ في تخفيف عذاب أبي طالب[5].

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٥٥.
(٢) سورة الأنبياء، الآية؛: ٢٨.
(٣) سورة طه، الآية: ١٠٩.
(٤) سورة المدثر، الآية: ٤٨.
(٥) انظر: البخاري مع الفتح، مناقب الأنصار، باب قصة أبي طالب ٧/ ١٧٣، ومسلم، كتاب الإيمان، باب أهون أهل النار عذاباً، =

ثالثاً: الاحتجاج على من طلب الشفاعة من غير الله بالنص والإجماع، فلم يكن النبي ﷺ ولا الأنبياء من قبله شرعوا للناس أن يدعوا الملائكة، أوالأنبياء، أو الصالحين، ولا يطلبوا منهم الشفاعة، ولم يفعل ذلك أحد من الصحابة ولا التابعين لهم بإحسان، ولم يستَحِبّ ذلك أحد من أئمة المسلمين، لا الأئمة الأربعة ولا غيرهم، ولا مجتهد يعتمد على قوله في الدين، ولا من يعتبر قوله في مسائل الإجماع، فالحمد لله رب العالمين.(١)

المبحث السادس: الإله الحق سخر جميع ما في الكون لعباده

من الحكمة في دعوة المشركين إلى الله تعالى لفت

= برقم ٢١١، ١/ ١٩٥.

(١) انظر: فتاوى ابن تيمية ١/ ١١٢، ١٥٨، ١٤/ ٣٩٩-٤١٤، ١/ ١٠٨-١٦٥، ١٤/ ٣٨٠، ٤٠٩، ١/ ١٦٠-١٦٦، ١٩٥، ٢٢٨، ٢٢٩، ٢٤١، ودرء تعارض العقل والنقل ٥/ ١٤٧، وأضواء البيان ١/ ١٣٧.

أنظارهم وقلوبهم إلى نعم الله العظيمة: الظاهرة والباطنة، والدينية والدنيوية. فقد أسبغ على عباده جميع النعم: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾[1]، وسخر هذا الكون وما فيه من مخلوقات لهذا الإنسان.

وقد بيّن سبحانه هذه النعم، وامتن بها على عباده، وأنه المستحق للعبادة وحده، ومما امتن به عليهم ما يأتي:

أولاً: على وجه الإجمال:

قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا...﴾[2]، ﴿أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ الآية[3]. ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى

---

(١) سورة النحل، الآية: ٥٣.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٩.

(٣) سورة لقمان، الآية: ٢٠.

ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ .[1]

فقد شمل هذا الامتنان جميع النعم: الظاهرة والباطنة، الحسيّة والمعنوية، فجميع ما في السَّمَـٰوات والأرض قد سُخِّر لهذا الإِنسان، وهو شامل لأجرام السَّمَـٰوات والأرض، وما أودع فيهما من: الشمس والقمر والكواكب، والثوابت والسيارات، والجبال والبحار والأنهار، وأنواع الحيوانات، وأصناف الأشجار والثمار، وأجناس المعادن، وغير ذلك مما هو من مصالح بني آدم، ومصالح ما هو من ضروراتهم للانتفاع والاستمتاع والاعتبار.

وكل ذلك دالّ على أن الله وحده هو المعبود الذي لا تنبغي العبادة والذلّ والمحبة إلا له، وهذه أدلة عقلية لا تقبل ريباً ولا شكاً على أن الله هو الحق،

---

(١) سورة الجاثية، الآية: ١٣.

وأن ما يدعى من دونه هو الباطل[1]: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ﴾[2].

ثانياً: على وجه التفصيل:

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ۞ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۞ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ

---

(١) انظر: تفسير البغوي ١/ ٥٩، ٣/ ٧٢، وابن كثير ٣/ ٤٥١، ٤/ ١٤٩، والشوكاني ١/ ٦٠، ٤/ ٤٢٠، والسعدي ١/ ٦٩، ٦/ ١٦١، ٧/ ٢١، وفي ظلال القرآن ١/ ٥٣، ٥/ ٢٧٩٢، وأضواء البيان للشنقيطي ٣/ ٢٢٥-٢٥٣.

(٢) سورة الحج، الآية: ٦٢، وانظر: سورة لقمان، الآية: ٣٠.

ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَظَلُومٞ كَفَّارٞ﴾ (1).

وقال عز وجل بعد أن ذكر نعماً كثيرة: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي سَخَّرَ ٱلۡبَحۡرَ لِتَأۡكُلُواْ مِنۡهُ لَحۡمٗا طَرِيّٗا وَتَسۡتَخۡرِجُواْ مِنۡهُ حِلۡيَةٗ تَلۡبَسُونَهَاۖ وَتَرَى ٱلۡفُلۡكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ۞ وَأَلۡقَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمۡ وَأَنۡهَٰرٗا وَسُبُلٗا لَّعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ۞ وَعَلَٰمَٰتٖۚ وَبِٱلنَّجۡمِ هُمۡ يَهۡتَدُونَ ۞ أَفَمَن يَخۡلُقُ كَمَن لَّا يَخۡلُقُۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۞ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ (2).

أفمن يخلق هذه النعم وهذه المخلوقات العجيبة كمن لا يخلق شيئاً منها؟

---

(1) سورة إبراهيم، الآيات: ٣٢-٣٤.

(2) سورة النحل، الآيات: ١٤-١٨، وانظر: الآيات: ٣-١٢ من السورة نفسها.

ومن المعلوم قطعاً أنه لا يستطيع فرد من أفراد العباد أن يحصي ما أنعم الله به عليه في خلق عضو من أعضائه، أو حاسة من حواسه، فكيف بما عدا ذلك من النعم في جميع ما خلقه في بدنه، وكيف بما عدا ذلك من النعم الواصلة إليه في كل وقت على تنوعها واختلاف اجناسها؟[1]. ولا يسع العاقل بعد ذلك إلا أن يعبد الله الذي أسدى لعباده هذه النعم ولا يشرك به شيئًا؛ لأنه المستحق للعبادة وحده سبحانه.

والله أعلم، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد بن عبد الله وعلى وآله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

***

---

(١) انظر: فتح القدير ٣/ ١٥٤، ٣/ ١١٠، وأضواء البيان ٣/ ٢٥٣.



الفهـــرس

الموضـــوع	الصفحة





كتب للمؤلف

١ - الذكر والدعاء والعلاج بالرقى من الكتاب والسنة
نشر مكتبة الرشد بالرياض

٢ - الربا .. أضراره وآثاره في ضوء الكتاب والسنة
نشر مكتبة الرشد بالرياض

٣ - آفات اللسان في ضوء الكتاب والسنة
توزيع مؤسسة الجريسي

٤ - الدعاء من الكتاب والسنة
توزيع مؤسسة الجريسي

٥ - حصن المسلم من أذكار الكتاب والسنة
توزيع مؤسسة الجريسي

٦ - شرح أسماء الله الحسنى في ضوء الكتاب والسنة
توزيع مؤسسة الجريسي

٧ - التكفير بين أهل السنة وفرق الضلال
توزيع مؤسسة الجريسي

٨ - شرح العقيدة الواسطية
توزيع مؤسسة الجريسي

٩ - من أحكام سورة المائدة
توزيع مؤسسة الجريسي

١٠- الجهاد في سبيل الله .. فضله، وأسباب النصر على الأعداء
توزيع مؤسسة الجريسي

١١- الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى «رسالة علمية»
توزيع مؤسسة الجريسي

١٢- العلاج بالرقىٰ من الكتاب والسنة
توزيع مؤسسة الجريسي

١٣- مقومات الداعية الناجح في ضوء الكتاب والسنة
توزيع مؤسسة الجريسي

١٤- العمرة والحج والزيارة في ضوء الكتاب والسنة
توزيع مؤسسة الجريسي

١٥- مرشد المعتمر والحاج والزائر في ضوء الكتاب والسنة
توزيع مؤسسة الجريسي

١٦- ورد الصباح والمساء في ضوء الكتاب والسنة
توزيع مؤسسة الجريسي

١٧- العروة الوثقى في ضوء الكتاب والسنة
توزيع مؤسسة الجريسي

١٨- طهور المسلم في ضوء الكتاب والسنة
توزيع مؤسسة الجريسي

* * *